- روايات مصرية للجيب -

زهور
٢٦

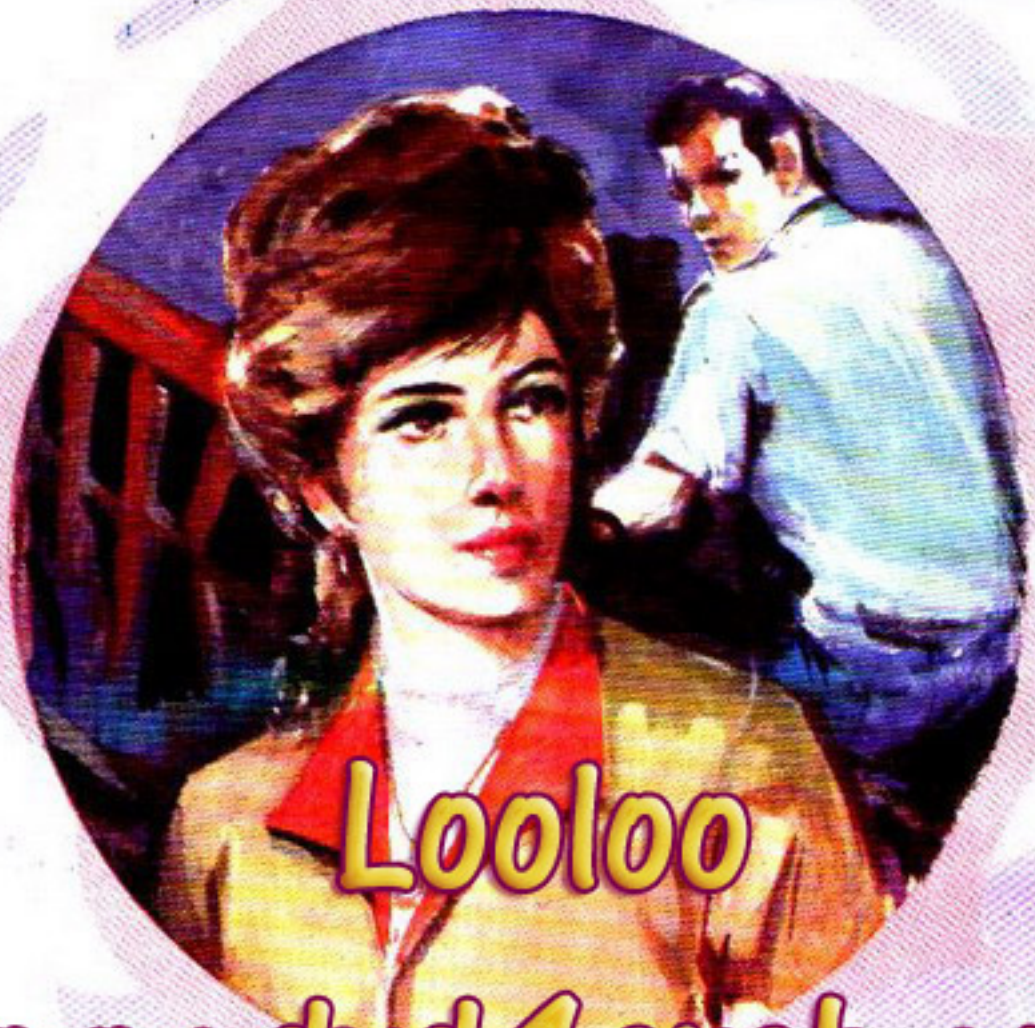

# وداعاً يا حبيبي



Looloo
www.dvd4arab.com

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

# ١ ـ قلب جريح ..

جلست ( هيام ) فى الردهة الواسعة ، التى تتوسط الفيلا ، تتطلع إلى الرجل الذى يهبط فى درجات السلم ، من الطابق العلوى ، بقامته المديدة ، وشعره الناعم ، الذى اختلط بياضه بسواده ، وابتسامته الودود ، التى قلما تفارق شفتيه ، وهو يتطلع بدوره إليها ، فسألته فى لهفة :

ـ كيف حاله الآن يا دكتور ؟

اتسعت ابتسامته ، وثبّت منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يجيب :

ـ عظيم .. لقد استرد خالك صحته تماماً ، ولم يعد يحتاج إلى معاودتى له .

ارتسم الارتياح على وجهها ، ودعته للجلوس ، وهى تقول :

ـ من المستحيل أن تنقطع عن زيارتنا يا دكتور ( رفيق ) ، فأنت صديق للعائلة ، ولست مجرّد طبيبها .

تطلّع إلى عينيها ، وهو يقول :

* * * * * * * ٥ * * * * * * *

– أنت تعلمين أننى كنت أتمنى أن أصبح أكثر من ذلك ، ولكنك رفضت منحى الفرصة .

صمتت برهة ، وأزاحت خصلة من شعرها إلى الوراء ، قبل أن تقول :

– دكتور ( رفيق ) .. لقد حسمنا هذا الأمر من قبل .

رفيـــق :

– ولكننى لم أفقـد الأمل بعد .. أنت تعلمـين يا ( هيام ) أن مشاعرى نحوك كما هى ، وأننى مازلت أتمنى أن أجد صدى لهـا فى قلبك يوماً .. مهما تأخّر ذلك اليوم .

هيـــام :

– أنت رجل تفخـر أى امرأة بالزواج منـه يا دكتور ( رفيق ) ، بما لك من سمعة طيبة وأخـلاق حميدة ، يشهد لها الجميع ، وقلب كبير عامر بالحب والخير ، ولكن المشكلة تكمن فىّ أنا .

غمغم فى رجاء :



– لو منحتنى الفرصة فقط ، فسأثبت لك ..

استوقفته قائلة :

– لقد أغلقت قلبى أمام الحب والزواج منـذ زمن .

تناهى إلى مسامعهما فى تلك اللحظة ، وقع أقـدام الخادم ، وهو يهبط من الطابق الثانى ، فهمس (رفيق) :

– لن أناقشك فى هذا الأمر مرة أخرى يا (هيام) ، ولكن إذا ما تغيّـر رأيك ، وزايلتك عقدتك السابقة ، فستجدينى فى انتظارك دوماً .

وصـافحها فى احترام واعتزاز ، وانصرف دون أن يضيف حرفاً ، وتابعته هى ببصرها ، من خلف زجاج النافذة ، وهو يستقل سيارته ، وينطلق بها إلى مستشفاه ، وقفزت بها ذاكرتها إلى الوراء ..

تذكّرت زوجها السابق ( سعيد ) ، والحب الكبير الذى ربط بين قلبيهما ، وهى بعد طالبة جامعية ..

تذكّرت كيف كادت تطير فرحاً ، يوم زفافها

إليه ، وقد بدا لها فى تلك الأيام ، الصورة المثلى للزوج المنشود ، حلم كل فتاة ..

ثم سافرت معه إلى السعودية ..

وفجأة انقلب كل شىء ..

تحول ( سعيد ) إلى إنسان آخر .. مخلوق قاسٍ جشع .. مادى لا يحترم العواطف أو المشاعر ، كل هدفه هو أن يجمع أكبر قدر من المال ، فى أقصر وقت ، وأسرع وسيلة ، وكلما حاولت أن تقترب منه، أو تفهمه ، أبعدها عنه فى قسوة وخشونة ..

أصبح حبهما مجرد ذكرى ..

ولكنها أبداً لم تيئس ، على الرغم من نفورها من التحول الذى طرأ عليه ..

تحملت الكثير ، والكثير من أجل أن تعيد إليه آدميته المفقودة ، ولكنها فشلت دوماً ..

ومن الغريب أنها لم تتقاعس يوماً عن التضحية من أجله ، على الرغم من أنه لم يكن أبداً بالرجل الذى يستحق التضحية ، فلقد قاطعت أسرتها من أجله ،



وحرمت أباها ، الذى مات غاضباً ، رافضاً لذلك الزواج ، وضحت بوظيفة ممتازة ؛ لتسافر معه ، وبرغبتها فى الإنجاب ، حتى يقرر هو أن الوقت يناسب ذلك ..

ثم كافأها على كل ذلك بورقة صغيرة ، أرسلها إليها يوماً ، ليعلنها أنه قد طلقها ، وتزوج صديقة لها .. بل أعز صديقاتها ..

ويوم استقلت القطار ، لتقيم عند خالها ، بعد أن فقدت زوجها وأسرتها ، وكل شىء ، كانت قد ودعت تلك المشاعر التى عرفتها من قبل .. مشاعر الحب والتضحية ، بعد أن علمتها التجربة المريرة أن الحب هو خدعة الزواج ، وأن الزواج هو نهاية الحب، وبداية العذاب .. وكانت تعلم أن حكمها ظالم ، لايمكن تعميمه، إلا أنها أرادت أن ترسخ ذلك المبدأ فى حياتها، لتمنع قلبها من الخفقان لأى حب جديد ، وأى يد تتقدم إليه ..

لقد بلغت الثامنة والثلاثين من عمرها ، وأوقفت

حياتها لخدمة خالها ( إبراهيم ) ، ذلك الرجل الطيب ، الذى يعاملها بكل حب وحنان ، كأنها ابنته ، بل إنه يقضى معها من الوقت ما يزيد عما يقضيه مع ابنته ، التى تعيش – بصورة شبه دائمة – مع أمها السورية فى ( دمشق ) ، حيث تتلقى تعليمها ، وتزور والدها فى إجازاتها الصيفية فحسب ، بعـد أن تم الطلاق بين والديها ، وهى فى الرابعة عشرة من عمرها ..

كل هذه الأفكار دارت فى رأس ( هيام ) ، وهى تتابع سيارة الدكتور ( رفيق ) ببصرها ، حتى اختفت من أمام عينيها ، فغمغمت فى مرارة :

– لن يتحقّق أملك أبداً يا دكتور ( رفيق ) .. ليتك تعى ذلك .

فوجئت بصوت خالها ( إبراهيم ) يأتى من خلفها خافتاً ، وهو يقول :

– ممتاز هو الدكتور ( رفيق ) .

تحوّلت إليه مغمغمة فى ارتباك :

– خالى !! .. حمداً لله على سلامتك ، لقـد



طمأنتى الدكتور ( رفيق ) على صحتك ..

تطلّع إليها خالها بعينين حانيتين ، وهو يقول :

– ليته يطمئنى عليك أيضاً يا ( هيام ) .

ضحكت ، قائلة :

– لماذا ؟ .. أقال إننى مصابة بمرض ما ؟

ابتسم قائلا :

– لاداعى للمراوغة ، فأنت تفهمينى جيّداً ، وتعلمين أن ( رفيق ) مازال يحبك ، ويصبو إلى أن تصبحى زوجته ، و ( رفيق ) نوع نادر من الرجال ، يعرف جيّداً كيف يصون المرأة التى يقترن بها .

تنهدت قائلة :

– لقـد قلت شيئاً شبيهاً يا خالى ، يوم عرفتك ( سعيد ) .. كنت الوحيد الذى وافق على زواجى منه ، برغم اعتراض باقى الأسرة ، وليتك وافقتهم ، فربما كنت أنقذتنى مما جرى ، فأنت تعلم أننى أحترم رأيك ، وأقدّره دون الآخرين .

ارتسمت على وجهه معالم الشعور بالذنب ، وهو يقول :

ـ لقد أخطأت فى حكمى عليه بالفعل ، وربما دفعنى إلى ذلك تعلُّقك الشديد به ، فأنت تعلمين كم أحبك ، وكم كنت أرفض حرمانك من إنسان تعلَّق به قلبك إلى حدٍّ كبير .

هتفت فى انفعال :

ـ كان ينبغى أن تعترض ، فقد كنت أنا مجرَّد حمقاء قلباً وقالباً .

حاول أن يهدئ من روعها ، قائلا :

ـ وما أدرانا أنه كان سينقلب على هذا النحو .. وعموماً (رفيق) يختلف تماماً ، وأنا أعرفه منذ سنوات ، فهو رجل عاقل متَّزن ، وقف حياته لعمله النبيل ، حتى أهمل نفسه تماماً ، فبلغ الخامسة والأربعين دون زواج .. وصدقينى يابنيتى .. إنه لا يشبه (سعيد) أبداً .. إنه نعم الزوج .

أجابته فى عناد وإباء :



ـ هكذا يبدون جميعاً قبل الزواج ، أما بعده ، فهم يكشفون عن ذلك الجانب البغيض منهم ، الذى يعجزون عن إخفائه ، بين جدران شقة الزوجية .

ابتسم فى إشفاق ، مغمغماً :

وما الذى رأيته خلف تلك الجدران ؟

هيام :

ـ لست أنا من تحكم على ذلك يا خالى ، بل زوجتك السابقة ، التى طلقتها بعد سبع سنوات من زواج كان مضرب الأمثال فى السعادة والهناء .

نكأت كلماتها جرحاً فى أعماقه ، فأطرق بوجهه أرضاً فى حزن ، فغمغمت فى ارتباك وندم :

ـ معذرة .. لم أكن أقصد ..

حاول أن يرسم على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ لا تعتذرى يا بنيَّتى .. لم يحن الوقت بعد ، لتعلمى سر انفصالنا ، قبل أن تصدرى حكمك ، ولكن ثقى أننى لم أتجنَّ على هذه المرأة أبداً ، بل هى التى ..

بتر عبارته بغتة ، ولاذ بالصمت ، فجثت (هيام) على ركبتيها ، إلى جوار مقعده ، وقبّلت يده ، وهى تقــول :

ـ خالى .. لا ريب أننى قد أخطأت فى الكثير ، ولكننى أستحلفك بالله ألا تناقش هذا الأمر معى بعـد الآن ، ودعنى أحيا إلى جوارك ، حيث أجد الراحة والسعادة، أما الحب والزواج فأنا أشعر نحوهما بالخوف والكراهية ، ولقد حذفتهما من حياتى إلى الأبد .

مسح على شعرها فى حنان ، وهو يقول :

ـ لن نناقش هذا الأمر بعد الآن يا بنيتى ، ما دامت هـذه هى رغبتك ، وسأترك الحكم لقلبك مستقبلا .

غمغمت فى حزن :

ـ نعم .. اترك الحكم لقلبى .. قلبى الذى وأدته بين ضلوعى ، إلى الأبد ..

* * *



## ٢ ـ عودة الحفيد ..

قدمت ( هيام ) لخالها قدحاً من الشاى ، وهى تقــول :

ـ لقد تأخر جدى ( حسن ) هذه الليلة ، ألن يمضى أمسيته معنا ؟

ارتشف ( إبراهيم ) بعض الشاى ، وهو يقول :

ـ كلاً .. إنه مشغول هذه الليلة ، حيث يستعـد لاستقبال حفيده العائد من ( أمريكا ) .

حاولت ( هيام ) عبثاً أن تتذكر شيئاً عن حفيـد جارهم ، ثم لم تلبث أن تساءلت :

ـ هل تقصد ذلك الصبى الصغير ، الذى كان يأتى إلى منزلنا ، ليلعب مع ( وفاء ) ؟

ابتسم خالها ، قائلا :

ـ إنه لم يعد صبيًّـا صغيراً ، إنه الآن شاب وسيم، فى الثالثة والعشرين من عمره ، يحمل درجة الماجستير فى الاقتصاد، فى جامعة ( كاليفورنيا ) ، وهو يشبه أباه تماماً .. هل تذكرين كيف فقد والديه ؟ .

هيـــام :

ـ أظن أن طائرتهما قد سقطت فى المحيط ، فى أثناء عودتهما من الولايات المتحدة !

ارتسم الحزن على وجه خالها ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. كان ذلك منذ ست سنـــوات ، والمؤلم أن ابنهما يحمل نفسه مسئولية موتهما ، فلقـــد رفض العودة إلى ( الفيوم ) ، خلال العطلة الدراسية ، وطلب من والديه قضاء الإجازة معه هناك ، فسافرا إليه ، ولقيا مصرعهما فى حادث الطائرة ، فى أثناء عودتهما ، مما سبب لابنهما صدمة عنيفة ، ولقد بذل جده مجهودات عنيفة ، ليقنعه بالعودة إلى هنا ، وكان يرفض دوماً ، ولكن يبدو أن جده قد نجح فى إقناعه أخيراً ، مادام سيصل غداً إلى ( الفيوم ) .

شردت ( هيام ) قليلا ، وكأنما تبحث فى ذاكرتها عن اسم الشاب ، قبل أن تقول :

ـ نعم .. إن اسمه (عصام) .. (عصام عبدالستار)..

لقـد تذكرته تماماً .. لقـد كان دوماً شابًّا مرحاً ..



كم أتمنى أن يكون قد تخلّص من عقـدته ..

إبراهيم :

ـ سمعت أن جده سيتنازل له عن كل ثروته : المنزل والمزرعة ، ومصنع الأعلاف ، فهو حفيـــده الوحيد ، والرجل يريد تجنيبه مشاكل الإرث مستقبلا ، وإغراءه بالبقاء فى ( الفيوم ) ، فالحاج ( حسن ) يحتاج إلى من يؤنس وحدته ، فى سنواته القليلة الباقية .

هيـــام :

ـ لا ريب أننا سنلتقى بـ ( عصام ) كثيراً ، ما دام سيقيم هنا .

ـ بالطبع .. لقد كنت أحب هذا الفتى كثيراً ، وأستمتع بمجالسته ، ولكننى لم أره منذ كان فى الخامسة عشرة من عمره .. إن رؤياه ستعيد إلىّ تلك الذكريات الحلوة ، التى كانت تجمعـه بابنتى ( وفاء ) .. كم أشتاق إليها .. لقد مر عامان دون أن تأتى لزيارتى .. ألا تشتاق إلى والدها ، الذى يحبها من أعماق قلبه ؟

ومن أعمق أعماقه ، انطلقت زفرة حارة ..

* * *

استقبلت ( هيام ) الجد ( حسن ) ، وهى تهتف فى سعادة حقيقية :

ـ جدّى ( حسن ) .. كم تسعدنى رؤيتك ، لقد تغيبت عنا كثيراً .

ابتسم الكهل ، وهو يقول فى وُدّ :

ـ إنه أسبوع واحد فحسب ، ثم لماذا لم تأتى لرؤية جدك العجوز ، مادام قد أوحشك إلى هذا الحد؟

ضحكت قائلة :

ـ كنت أعلم أنك مشغول بغيرى ، وأن سعادتك بعودة حفيدك لن تفسح فى قلبك مكاناً لسواه ، حتى أنا .

ـ أهذا معقول ؟ .. أنت تعلمين كم أحبك .. هل خالك هنا ؟

ـ نعم .. فى حجرته .

ـ دعينى أفاجئه إذن ، واعتنى أنت بالضيف .



ـ أى ضيف ؟

تركها دون أن يجيب سؤالها ، وأسرع يرتقى السلم إلى الطابق العلوى ، كأنما كان طفلا شقيًّا ، يسعى لقليل من المرح ، على حين فوجئت ( هيام ) أمامها بشاب ممشوق القوام ، وسيم الملامح ، على الرغم من شحوبه ، وذبول عينيه ، فتسمَّرت فى مكانها ، ولم تدر ماذا تقول ، حتى غمغم هو فى هدوء وجمود :

ـ ألن تدعينى للدخول ؟

هتفت فى حماس مجامل :

ـ بالطبع .. تفضَّل .

أفسحت له الطريق ، فدلف إلى الردهة الواسعة ، وراح يتأمل محتوياتها فى جمود ، حتى توقف أمام صورة ( وفاء ) ، وقال :

ـ إنها ( وفاء ) .. أليس كذلك ؟

ـ بلى ..

ـ لم تتغير كثيراً .. أشياء كثيرة لم تتغير هنا .. إننا فى ( مصر ) لا نميل إلى التغيير ، على عكس القوم

فى الخارج ، فهم يتغيرون بسرعة قصوى ، كل يوم هناك جديد ، حتى المشاعر يغيرونها بسرعة ، فأحزانهم عاقلة قصيرة ، على حين أحزاننا نحن ممتدة طويلة .

أدهشها ذلك الحديث ، الذى لم تدرك منه شيئاً ، فغمغمت فى مرح مصطنع ، محاولة التغلب على ذلك الحرج ، الذى جمعها به :

ـ أنت ( عصام ) .. أليس كذلك ؟

جلس فى هدوء ، وألقى نظرة طويلة على السقف ، قبل أن يجيب :

ـ وأنت ( هيام ) .. الفتاة التى كانت تؤنبنى دوماً ؛ لأننى أسرق قطع الشيكولاته واللبان من حقيبتها.

ابتسمت ( هيام ) ، قائلة :

ـ فى الماضى كنت تسمينى ( أبلة هيام ) ، وكنت دوماً مبتسماً ، على عكس الآن .

أجابها فى جمود :

ـ فى الماضى كنت صبيًّا فى العاشرة ، وكنت شابة مكتملة الأنوثة .



ـ مهما مرَّ الزمن ، ستظل تفصلنى عنك خمسة عشر عاماً ، تدعوك لمخاطبتى بنفس اللقب .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ ولكنك تبدين كما تركتك آخر مرة .. نفس الجمال والأنوثة ، وكأنما خشى الزمن أن يقترب منك . ألم أقل لك إن الأشياء لا تتبدل هنا فى سهولة .

ـ مجاملة طيبة منك .

ـ لست أُجاملك .. إنها الحقيقة .

ـ إذن فالصبى الشقى ، الذى كان يكتفى بسرقة الحلوى من حقيبتى ، ينوى أن يقتحم اليوم مجالا جديداً من مجالات الشقاوة .

ـ أتتصورين أننى أُغازلك ؟! .. عجباً !! .. لم لا تستقبلون الأمور فى بساطة ؟ لم تصرُّون على تحميل العبارات معانى أخرى مستترة ؟ .. لقد رأيتك حقًّا كما تركتك .. جميلة شابة ، والحق يقال : لقد ازددت نضجاً وجمالا ، ولقد كان من الطبيعى أن أُخبرك بذلك دون أن أقصد مجاملتك أو مغازلتك .

– حسناً .. ما دمت صريحاً على هذا النحو ، فلمَ لمْ تجب عن الجزء الآخر من سؤالى .

– أى سؤال ؟

– أين اختفت إشراقتك وابتسامتك ؟

نهض من مقعده ، وسار نحو النافذة ، وأولاها ظهره ، وهو يتطلع منها فى صمت ، قبل أن يجيب :

– ضاعت .. ضاعت مع سنوات الغربة والوحدة ، مع مرارة الفراق وقسوة اليتم ، مع أب وأم قدما لى كل الحب والرعاية ، وكافأتهما بميتة مروِّعة ، مع فتاة لا تستحق ، تغلبت رغبتى فى البقاء إلى جوارها ، على لهفتى لرؤية والدىَّ ، فلقيا حتفهما ثمناً لجحودى .

شـــعرت بالألم والنـــدم ؛ لأنها ألقت عليه ذلك السؤال ، الذى فجَّر أحزانه ، وتضاعف ألمها وندمها ، حينما رأت عَبْرة ساخنة تنسال على وجنته ، فاقتربت منه مغمغمة :

– معذرة .. إننى ..

قاطعها صوت مرح يهتف :



– ( عصام ) ؟ ! .. أخيراً جئت إلى منزل عمك ( إبراهيم ) !

استدار ( عصام ) مغتصباً ابتسامة ، ومسح دمعته ، وهو يصافح الخال ، قائلا :

– ما كنت لأمتنع عن دعوتك يا عماه .

تعانق الاثنان فى حرارة ، وجلس الجد ( حسن ) ، فوق مقعد قريب ، وهتف بـ ( هيام ) :

– أعدى الشاى سريعاً ، وأحضرى لنا طاولة النرد ، فلقد جئت لأثأر من خالك ، فقد هزمنى سابقاً .

أسعدها ذلك المرح ، الذى ساد المكان فجأة ، فهتفت فى ارتياح :

– على الرحب والسعة .. سأحضر كل شىء على الفـــور ..

وانطلقت تشاركهم مرحهم ..

* * *

## ٣ ـ القرار الحزين ..

جلست ( هيام ) أمام نافذة حجرتها شاردة ، وقد انتزعتها أفكارها وخواطرها بعيداً ، حتى أنها لم تشعر بخالها ، الذى طرق الباب فى رفق ، ثم دلف إلى حجرتها ، ووقف يتطلع إليها لحظات فى حزن ، قبل أن ينحنى نحوها ، قائلا فى عطف :

ـ ماذا حدث يا بنيتى ؟ .. ما الذى يدلك على هذا النحو ؟

مسحت دمعة سالت على وجنتيها ، وهى تجيب :

ـ لا شىء يا خالى ، لا تقلق نفسك بشأنى .

ـ كيف يا (هيام) ؟ إنك حزينة شاردة هكذا ، منذ ثلاثة أسابيع .. ما الذى أصاب الزهرة المتفتحة ، التى كانت تملأ المنزل بهجةً ومرحاً ؟ ما الذى ملأ عينيها بكل ذلك الحزن والاكتئاب ؟ ما الذى يدعوها إلى الجلوس شاردة حائرة فى حجرتها بالساعات ؟ .. أريحى قلبى يا بنيتى ، وأخبرينى ماذا ألم بك .



أرادت أن تهوّن له الأمر ، إلا أن نبرة حزينة ملأت صوتها ، وهى تقول :

ـ الأمر لا يحتاج منك إلى كل هذا القلق يا خالى ، فكل ما هناك أننى أصبحت أميل إلى الوحدة والتأمل فى الآونة الأخيرة ، فكل إنسان يحتاج إلى بضع ساعات من الوحدة ، يراجع فيها نفسه ، ويعيد تقدير موقفه .

ـ أأنت واثقة من أن الأمر لا يعدو كونه كذلك؟

ـ أؤكّد لك أنه لا يتجاوز ذلك .

ـ حسناً .. لا تنسَىْ أننا مدعوّان لتناول طعام العشاء عند الحاج ( حسن ) .

ارتسم الخوف فى ملامحها ، وأطل من عينيها ، وهى تقول :

ـ ألا يمكنك أن تذهب بدونى ؟

أدهشه موقفها ، فقال فى حيرة :

ـ ألم أقل لك إنه هناك شىء لا أفهمه ؟! إنها المرة الثانية ، التى ترفضين فيها الذهاب إلى الحاج ( حسن )، على الرغم من أنك كنت تقضين هناك معظم وقتك ،

فماذا حدث ؟ .. أللأمر علاقة بعودة ( عصام ) ؟

اضطربت لدى سماعها الاسم ، وهزّت رأسها نفياً فى قوة ، وهى تقول :

– مطلقاً .. إن ( عصام ) فى موضع شقيقى الصغير ثم إنه شاب لطيف دمث الخلق .

– ما سرُّ رفضك قبول الدعوة إذن ؟ .. لقد استاء الحاج ( حسن ) كثيراً ، حينما اعتذرت عن دعوته لك فى المرة السابقة ، وسيحزنه أن ترفضى دعوته هذه المرة أيضاً .

تنهّدت فى استسلام ، وهى تقول :

– حسناً .. سأرافقك هذه الليلة يا خالى .

لم تنه موافقتها حيرته وقلقه ، إلا أنه غمغم فى خفوت :

– فليشملك الله (سبحانه وتعالى) برعايته يابنيتى .

وأغلق الباب خلفه ، على حين غادرت ( هيام ) مكانها ، ووقفت أمام المرآة ، تتطلّع إلى وجهها الحزين ، وعينيها الشاحبتين ، مغمغمة :



– لماذا لم تخبريه بالحقيقة ؟ .. لماذا كذبت عليه هذه المرة ، وما فعلت هذا يوماً ؟.. وإلى متى يمكنك إخفاء الحقيقة عنه ؟ .

ارتسم الخوف على وجهها ، وهى تستطرد :

– ولكن كيف ؟ .. كيف يمكننى أن أُخبره بطبيعة ذلك الصراع ، الذى أعيشه مع نفسى فى هذه الأيام ؟ .. أأُخبره أن ( هيام ) ، التى آلت على نفسها التصدى لرياح الحب ، قد وقعت فى مهب هذه الرياح ؟ .. أأعترف له بأن مقاومتى تنهار ، منذ التقيت بـ ( عصام ) ، وتكررت لقاءاتنا وأحاديثنا ، دون أن نشعر بأن هذا الشىء الخفى ، الذى يجمعنى به ، ليس العطف والشفقة كما تصوّرت ، وإنما هو حب يتسلّل داخل مشاعرنا ونفوسنا ! .. أأروى له عن الحرب العاتية ، التى أخوضها ضد نفسى الآن ، وأنا أُقاتل ما بين الخوف فى الحب ، أو الاستسلام له ؟! .. وحب مَنْ ؟! .. ( عصام ) !! .. ( عصام ) الذى يصغرنى

بخمسة عشر عاماً .. ذلك الصبى الذى كان يخاطبنى فى الماضى بلقب ( أبلة هيام ) !! ..

لماذا هو بالذات ؟ .. أيعاقبنى القدَر ؛ لأننى تجاهلت قلبى سنوات ، فيرسل لى من يقتحمه ، دون أن تناسبنى ظروفه أبداً .

هزَّت رأسها فى إصرار ، وهى تواجه صورتها فى المرآة ، قائلة :

ـ كلاَّ .. لست بالمرأة الضعيفة ، التى تستسلم لعاطفة طردتها من حياتها ، بمثل هذه السهولة ، ولست بالمراهقة ، التى تقع فى حب شاب لا يناسبها .. هذا مستحيل ، ولن أسمح له بالاستمرار .. لن أسمح أبداً ..

* * *

راقب ( عصام ) ( هيام ) فى اهتمام ، بعد الانتهاء من تناول طعام العشاء ، وبعد أن انهمك الخال والجد فى لعب النرد ، وبدت له مستغرقة فى التفكير ، وهى تبحث عن وسيلة حاسمة لتنفيذ قرارها الحازم ، بالنسبة لعلاقتها بـ ( عصام ) ، الذى أدهشه تجاهلها له طيلة



الوقت ، وانتهز فرصة توجهها إلى المطبخ ؛ لإعداد الشاى ، فلحق بها ، وقال فى لهجة ، أراد أن يصبغها باللامبالاة :

ـ كنت أراقبك ونحن نتناول الطعام .. إنك لم تأكلى شيئاً تقريباً .

قالت دون أن تلتفت إليه ، وهى تتظاهر بالانهماك فى إعداد الشاى :

ـ لم تكن بى شهية لتناول الطعام .. أليس من الأفضل أن تجلس مع الرجال ؟

غمغم بانفعال مكبوت :

ـ أصار وجودى يزعجك إلى هذا الحد ؟

غمغمت فى توتر :

ـ ملاحقتك لى دوماً ستثير تساؤلهما .

انفجر انفعاله المكبوت ، وهو يقول فى حدَّة :

ـ دعك من حِجَجِك السخيفة .. إنك تتعمدين

الابتعاد عنى طيلة الوقت .. أذهب إلى ڤيلا خالك ، فيقولون إنك غير موجودة ، وأنا أعلم أنك تتحاشين مقابلتى .

أجابته ، محاولة أن تشيع فى صوتها نبرة واثقة :

ـ كنت أحتاج إلى بعض الوقت ، لأراجع نفسى .

هتف فى دهشة :

ـ لمـــاذا ؟

تحولت إليه ، قائلة فى ثبات :

ـ اسمع يا ( عصام ) ، فلنطرح كل السخافات خلف ظهورنا ، ولنتطلّع إلى الأمور بواقعية ومنطقية وإدراك .

ـ أية أمور تلك ؟

ـ لا تتظاهر بعـــدم الفهم .. إننى أعـــترف بما حدث بيننا من تقارب ، ولكن ذلك كان بسبب الظروف النفسية ، التى نعانيها معاً ، ولـكن من المستحيل أن نطلق على ذلك التقارب اسم ( الحب ) ،



فهناك عشرات الأشياء ، التى تحول بيننا وبين ذلك ، وبدلاً من أن نتمادى فى تلك الأكذوبة ، دعنا نعتـبر تقاربنا شبيهاً بمـا حدث بين أخ وأختـه ، ولنقتلع أية نزوة عاطفية عابرة من أعماقنا .

ضاقت عيناه ، وبدا وكأن الألم يعتصره ، وهـو يقول فى صوت مبحوح :

ـ أكذوبة ؟! .. أتطلقين على ما بيننا لفـــظ ( أكذوبة ) .. ذلك الحب الكبير ، الذى داوى جراحى وأعاد لى الثقة فى الحياة ، والأمل فى المستقبل ، وأضاء العـالم فى وجهى ، تطلقين عليـه اسم النزوة العاطفيـة العـابرة ؟! .. أى ذنب اقترفتـه ، لتحطمى قلبى على هذا النحو ؟ .. أهو أننى أحببتك بكل صدق وإخلاص وتصوَّرت أننى سأجد معك الحب الحقيقى ..

أتعسهـا كل ذلك الحـزن المـرتسم فى ملامحـه ، وودَّت لو أنها تخلت عن قرارها ، وهتفت تعترف بأنها كاذبة ، وبأنها تبادله نفس الحب والإخلاص ، ولكن

الجزء الرافض فى أعماقها راح يقاوم فى إصرار ، ويحثها على الاستمرار ، وعدم الاستسلام ، فقالت :

ـ إنك شاب فى مقتبل العمر يا ( عصام ) ، وستلتقى بعشرات ممن هن فى مثل عمرك ، أما أنا فعلى مشارف خريف العمر ، وأكبرك بخمسة عشر عاماً كاملة ، ثم أننى لست امرأة سوية ، بل معقَّدة ، أحمل تجربة زواج قاسية ، ستظل آثارها محفورة على قلبى مدى الحياة ، فلماذا تربط حياتك بامرأة لن يمكنها إسعادك أبداً ؟ .. لماذا تصرّ على الشقاء ؟ .. كلاَّ يا ( عصام ) .. تراجع .. إننا لن نلتقى بعد اليوم أبداً .

ألقت عبارتها ، وكأنها تلقى بيان انتحارها ، على حين قال هو فى رجاء :

ـ لا اعتبار لكل ذلك عندى يا ( هيام ) ، فحبك يملأ عروقى ، وكل الاعتبارات الأخرى تسقط أمام ذلك .. إن الشقاء الحقيق فى ابتعادى عنك يا ( هيام ) ، فهذا هو ما أعجز عن احتماله .



أشاحت بوجهها ، حتى لا تضعف أمام رجائه ، وهى تقول :

ـ ينبغى أن نفترق يا ( عصام ) .. ارحل عن ( الفيوم ) ، أو أرحل أنا .. ستتألم بعض الوقت ، ولكنك ستدرك فيما بعد أنه كان الاختيار الأمثل .

اعتدل ، وحاول أن يتجلد ، وهو يقول :

ـ أهذا هو قرارك الأخير ؟

ـ نعم ..

ـ سأرحل إذن ، مادمت ترغبين فى ذلك ، سأغادر ( مصر ) كلها بعد بضعة أيام .

تجمَّدت ، كما لو كانت قد تحوَّلت إلى تمثال من الشمع ، وهو يغادر المكان ، وقد نجحت فى تنفيذ قرارها ، وفى أن تبدو قوية متماسكة ، ولكنها تشعر الآن برغبة قوية فى أن ترتمى تحت ساقيه ، وتتوسَّل إليه أن يعود ، فهى تحبه ، وحبها له أقوى مما تصوَّرت .. من كل الحصون والقلاع ، التى أحاطت بها قلبها ..

ولكن كلاً .. فلتقاوم كل سهام الحب ، ولتحتمل كل الآلام والشقاء ..

وراح الشاى ينسكب على الموقد ، وتصاعدت أبخرته ، وهى لا تشعر بشىء ..

لقد كانت فى عالم آخر ..

عالم اليأس ..

* * *

## ٤ ـ حكم القدر ..

بدا كل شىء كئيباً قاتماً فى عينى ( هيام ) ، حينما استيقظت فى الصباح التالى ، فالأيام القادمة كانت تحمل لها عذاب الفراق .. فراقها عن ( عصام ) ، الذى عاقبها به ملاك الحب ؛ لأنها طردته من حياتها وقلبها يوماً .. وقد تحتمل هى عذابها ، ولكن ما يؤلمها هو ما سبَّبته لـ ( عصام ) من عذاب وشقاء ، وكم تمنَّت لو أنه هو هجرها ، أو كرهها ، بل ليته يلتقى بإنسانة أخرى تناسبه ، بدلا من أن يحمل فى أعماقه كل ذلك الحزن ، الذى قرأته فى عينيه أمس ..

وعندما غادرت فراشها ، وهبطت إلى الردهة ، فى الطابق الأرضى ، فوجئت بالحاج ( حسن ) يجالس خالها ، والحزن يملأ ملامحه ، حتى ليبدو وكأنما زاد عمره عشر سنوات ، منذ فارقته أمس ، ولم يكد يلمحها تقترب ، حتى هتف بها باكياً :

ـ ( هيام ) .. ساعدينى يا بنيتى .. أشفق على جدك العجوز .

سألته فى قلق :

ـ ماذا حدث يا جدى ؟

ـ ( عصام ) .. إنه يريد العودة إلى ( أمريكا ) .. يريد أن يهجرنى مرة أخرى .. لست أدرى ماذا دهاه بعـد انصرافكما أمس ؟ .. كنا قد اتفقنا على أن يقيم معى ، هو ومن يتزوَّجها ، ثم أتنازل له عن كل شىء ، ولقـد بدا كارهاً لفكرة السفر ، موافقاً على منطق تماماً ، وفجأة انقلب كل شىء ، وعاودته حمى الهجرة بغتة أمس .

غمغم خالها فى أسف :

ـ لقـد حاولت إثناءه عن ذلك ، ولكنه بدا شديد الإصرار ، على نحو عجيب .

تمتمت هى فى لهجة حزينة :

ـ ولماذا نحاول منعه ، مادامت هذه هى رغبته .

هتف الجد فى انفعال :

ـ رغبته ؟! .. ألا تدركين ما يعنيه بقاء (عصام) بالنسبة لى .. إنه ينسينى لوعتى لفقد ولدى .. ولو رحل



فسأموت .. هل تفهمين ؟ .. سأموت .

ثم أجهش ببكاء حار ، فأسرعت إليه ، وألقى هو برأسه فوق كتفها ، كما لو كان طفلا صغيراً ، وأرادت هى أن تخبره أنها أشد منه حزناً ولوعة ، ولكنها تعلم أن ذهاب ( عصام ) هو الحل الأمثل ، حتى لا يقعان فى جبروت حب عاصف ، لا يخضع لمنطق أو عقل أو قواعد ، ويرفضه الجميع ، حتى لا يشقى به سواهما ، ولكن العجوز أضاف وهو ينتحب :

ـ ساعدينا على إقناعه يا ( هيام ) .. إننا نعلم كم يحبك ويحترمك ، ويقدِّر رأيك .. إنه يجد فيك حنان الأم ، التى حُرم منها .. حاولى إقناعه .. أرجوك .

دوَّت فى عقلها العبارة الأخيرة : « يجد فيك حنان الأم ، التى حرم منها » ..

إذن فهذا ما يمكن للآخرين أن يتخيلوه ، من علاقتها به ..

هذه هى العلاقة المنطقية الوحيدة ، بين امرأة فى خريف العمر ، وشاب فى ريعان الصبا .

وهم على حق ..

قد يراها هو الآن أشبه بالشابة الجميلة ، التى تركها قبل سفره ، ولكنه ، وبعد عدة أعوام ، سيدرك أن قطار شبابها على وشك الرحيل ..

وفى هدوء ربّتت على رأس الجد ، قائلة :

– سأحاول يا جدى .. سأحاول من أجلك ..

* * *

مضت فترة من الصمت ، بعد أن طرقت باب حجرته ، لتسمعه يقول فى وهن :

– ادخـــل .

دلفت إلى حجرته ، وهو منهمك فى إعداد حقائبه والذبول يملأ وجهه ، ويسيطر على عينيه المرهقتين ، مؤكّداً أنه لم يذق طعم النوم ، منذ ليلة أمس ، فقالت فى وهن مماثل :

– لم أتصوّر أنك ستفعل ما طلبته منك بهـــذه السرعة .

لم يلتفت إليها ، وهو يقول :



– ولِمَ الانتظار ؟! .. من الأفضل أن يتم كل شىء فى سرعة ، لأجنّب نفسى مشقة الانتظار .

– جدك يتألم لرحيلك .

– ربما أمكننى أن أقنعه يوماً بالعيش معى فى (أمريكا) .

أسندت رأسهـــا إلى جـدار الحجرة ، وأسبلت جفنيها ، وهى تغمغم فى ألم :

– ليتك تدرك أننى أفعل ذلك من أجلك .

– لست أفهم سوى شىء واحد ، وهو أنك لو عرفت الحب ، كما عرفته أنا ، ما أمكنك أن تطالبينى بالرحيل ، مهما كانت الاعتبارات .

– الحب لا يعرف الأنانية ، ومن الأنانية أن ترتبط بإنسانة مثلى .

– بل من الأنانية أن تحرمينى منك ، بعـــد أن أحببتك كل هذا الحب .

سالت من عينيها دموع المرارة ، وهى تقول :

– أنا أيضاً أحبك .. أحبك بكل ذرة فى كيانى ..

عقلى ولسانى يطالبانك بالرحيل ، وقلبى يتوسّل إليك أن تبقى .

ارتجفت يده ، وانتفض جسده كله ، والتفت إليها بحركة حادة ، وقد هزّ ذلك الاعتراف مشاعره ، ثم اندفع نحوها ، وراح يقبّل يديها فى حرارة وهو يهتف :

ـ أحقًا ؟! .. أحقًا تحبيننى كل هذا الحب ؟

سال الدمع على وجنتيها ، وهى تهز رأسها إيجاباً ، مغمضة العينين ، فاستطرد فى حرارة :

ـ لا تؤلمينى على هذا النحو مرة أخرى أبداً ، فأنت لا تعرفين مدى العذاب الذى عانيته ، لمجرد تخيل رحيلى عنك .. لا يمكنك أن تتصوّرى كيف أمضيت ليلتى ، وأنا أعلم أننى لن أراك بعد الآن .

مسحت على شعره فى حنان ، مغمغمة :

ـ كل ما أطلبه منك هو أن تمنح حبنا فرصة .. امنحه مهلة من الوقت ، نتظاهر خلالها أننا مجرد صديقين مخلصين .



ارتسم الارتياع على وجهه ، وهو يقول :

ـ لست أفهم .. كيف تطالبيننى بأن نكون مجرّد صديقين ، وقد اعترف كل منا بحبه للآخر منذ لحظات .

قالت فى رجاء :

ـ هذا ما أقرّته قلوبنا ، وعلينا أن نمنح عقلينا الفرصة ، للتصديق على ذلك القرار .. يجب أن نتأكد من أن حبنا ليس مجرّد نزوة ، أو اندفاع .. بل حب حقيقى ، لابد له من أن يستمر ويبقى ، وهذا يحتاج إلى بعض الوقت .

ابتسم ، وهو يمسح دموعه ، قائلا :

ـ أعرف كيف تفكرين .. إنك تتصوريننى مجرد شاب مندفع ، وراء عاطفة عابرة ، لامرأة ناضجة ، تحاول أن تزن الحب بعقلها وقلبها فى آن واحد .. أتخشين أن أتراجع عن هذا الحب يوماً ؟ .. كم أنت واهمة !

قالت فى مرارة :

ـ لا تنس أن تلك المرأة ، التى تتحدث عنها ، انساقت يوماً خلف قلبها وحده ، فعاشت تجربة أليمة ، علمتها ألا تثق فى الأيام والكلمات فى سهولة .

قبّل كفها ، قائلا :

ـ ليتك تنسين تلك التجربة القاسية ، وتذكرين فقط حبي وإخلاصى .

قالت فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

ـ ليتك أنت توافق على ما طلبته منك ، وتمنح حبنا بعض الوقت ، ليقتنع به عقلانا .

أجابها فى لهجة جادة :

ـ أعدك أن أكون رزيناً فى حبك ، وأن أكتفى بصداقتك بعض الوقت ، حتى أثبت لك أن حبي ليس مجرّد نزوة ، وحتى تتأكدى من صدق وإخلاصى لهذا الحب ، وأننى أرغب حقّا فى أن تصبحى زوجتى .

خيّل إليه أنه قد نطق بكلمة مرعبة ؛ إذ ارتسم الفزع فى وجهها ، وهى تهتف :



ـ لا .. إذا أردت أن يستمر حبنا ، فحذار أن تحدثنى عن الزواج .

ـ ولكنه النهاية الطبيعية لأى حب حقيق شريف .

ـ أنت لا تعلم عما تتحدث .. لست أحب أن أسمعك تذكر تلك الكلمة .. أرجوك .

هدأ من روعها ، مغمغماً :

ـ حسناً .. حسناً .. إننى أقدر مخاوفك .. فلننفذ أولا ما اتفقنا عليه ، ولنترك للقدر اتخاذ القرار ، وأنا واثق من أنه سيكون رحيماً رءوفاً بحبنا ومشاعرنا .

أجابته فى خفوت :

ـ نعم .. اترك القرار للقدر ..

وصمتت وهلة ، ثم استطردت فى حزن :

ـ ولا تثق كثيراً فى أحكامه ..

* * *

## ٥ ـ ساحبك دائما ..

ظلاً يلتقيان بصورة شبه يومية ، ويقضيان معاً الساعات الطوال .. طوال فى عمر الزمن ، وقصار فى عمر حبهما .. واستمرّت علاقتهما ، التى تحمل ظاهر الصداقة ، وباطن الحب ، واحترم ( عصام ) وعده لها ، فلم يشر يوماً إلى عواطفه المشبوبة ، أو هيامه بها ، بل حرص كل الحرص على مشاركتها اهتماماتها وأفكارها ، آملا أن يكون هذا هو السبيل الصحيح لنيل ثقتها ، وتأكيد كونه ناضجاً بأفكاره ومشاعره ، وأنها تستطيع أن تطمئن إليه ، وتقنع به زوجاً فى المستقبل ، ولقد أدمنا تلك اللقاءات اليومية ، التى تجدد السعادة فى قلبيهما ، حتى باتا لا يفترقان إلا مع مغيب الشمس ، انتظاراً لشروقها فى يوم تال ..

واستمرّت تلك اللقاءات شهرين كاملين ، صار خلالها كل مكان يجمعهما أشبه بجنة خاصة لحبهما ، و ( عصام ) يترقب دوماً ذلك اليوم ، الذى يفصح فيه



عن حقيقة مشاعره ، على حين بقى فى نفس ( هيام ) ذلك الخوف المجهول ، الذى يطارد ماضيها ، ويتربّص بمستقبلها ، وهى تعجز عن طرده من أعماقها ، على الرغم من هزيمة قلبها ، وإصرارها على استسلام عقلها أيضاً ، لتتيقّن من صدق مشاعرهما ، ونضج حبهما ، وهى تعلم أن خوفها ، وعدم ثقتها بالمستقبل ، هما فى الوقت ذاته سر استسلامها للحب ، وهزيمتها أمامه ، وهى هزيمة تتوق إليها كل القلوب النابضة ..

ومع الأيام ، أخذت ( هيام ) تستسلم رويداً رويداً لتلك الهزيمة الممتعة ، وبدأت تسمح لـ ( عصام ) بإلقاء بعض عبارات الحب على مسامعها ، وتنتشى لها ، كما لو كانت مراهقة صغيرة ، تذوق الحب لأول مرة ..

وتلاشت أمام سعادتها كل مخاوفها ..

حتى فارق العمر بينهما ذاب وتلاشى ، ولم تعد هى أو هو يشعران به ..

أما خالها والحاج ( حسن ) ، فلم تبد لهما تلك العلاقة بأكثر من علاقة أخت بأخيها ، وصداقة تمتدّ جذورها

إلى الماضى ، وتعزّزها رابطة قربى وصداقة بين الأسرتين ، وسعد الجد لأن تلك الصداقة قد أقنعت حفيده بالبقاء ، وابتهج الخال ؛ لأنها قد أعادت إلى ( هيام ) إشراقها ، وأقبالها على الحياة ..

أما أهالى ( الفيوم ) ، فقد صاروا يثرثرون حول علاقة ( عصام ) و ( هيام ) ، وعلى الرغم من أن تاريخ ( هيام ) لديهم ، كان يشف عن الجدية والاستقامة ، إلا أن السعادة التى تملأ ملامحها ، وهى بصحبة (عصام) وتورّد وجنتيها ، فى حديثها معه ، جعلا الجميع يجزمون بأنهما ليسا صديقين .. وإنما عاشقين ..

وذات يوم ، وهما يجوّلان معاً ، وسط الطبيعة الخلاّبة ، قالت ( هيام ) لـ ( عصام ) :

ـ ألم يبلغك جدى ( حسن ) بالمفاجأة السعيدة ؟

تطلّع إليها بابتسامة عذبة ، مغمغماً :

ـ أية مفاجأة ؟

هتفت فى مرح :

ـ ستعود ( وفاء ) ابنة خالى بعد يومين .. لقد



أبرقت إلينا بذلك ، ولا يمكنك أن تتصوّر سعادة خالى.

اضطرب ( عصام ) ، حينما سمع منها ذلك ، وقفزت به الذكريات فجأة إلى الوراء .. إلى (وفاء) ، صديقة الطفولة ، وحب المراهقة .. إلى أوقاته السعيدة معها .. لقد كان يسرق الحلوى من حقيبة ( هيام ) ليقدّمها لها .. تذكر كيف أخبرته ( وفاء ) يوماً ، وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، وهى تصغره بعامين ، أن القواقع تحتفظ دوماً بالأسرار ، وتحقق الأمانى ، فأسرع يحضر قوقعة ، بثّها كل منهما حبه وعشقه للآخر ثم دفناها إلى جوار شجرة كبيرة فى الحديقة ، وهما يتصوّران أنها ستحفظ حبهما إلى الأبد ، وتحقّق أمنيات مستقبلهما .. كم كانت مشاعرهما بريئة ساذجة ، ولكن .. أبقى شىء من هذا الحب فى أعماقه .. كلا .. إنه لا يعتقد ذلك ، فحبه لـ ( هيام ) صار يملأ كيانه ، ويطغى على كل ذكريات ماضيه ..

قطعت ( هيام ) أفكاره ، وهى تسأله :

ـ فيم تفكر ؟

ـ لا شيء .

ـ أراهنك أنها ( وفاء ) ، فلقد كنتما صديقين حميمين منذ الطفولة .

ـ أظن الأمر سيختلف الآن .

ـ لماذا ؟

ـ لأننا لم نعد طفلين ، ولا ريب أن مشاعرنا الآن تختلف ، ولست أظن خالك سيسمح بقيام صداقة بين شاب وشابة مثلنا .

ـ ولكنه لا يمانع فى صداقتنا .. أعنى أنا وأنت .

ـ هذا لأنه يعتبرك بمثابة ..

بتر عبارته بغتة ، وقد أدرك خطأ ما كان سينطق به ، إلا أن ( هيام ) أكملتها فى حزن :

ـ بمثابة أخت كبرى لك .. أو أم .. من يدرى؟ ألم تقرأ الدهشة والاستنكار فى عينيه، حينما نطقت اسمى أمامه مجرّداً ، دون أن تسبقه بلقب ( أبله ) كما فى الماضى ؟ .. أراهنك أن أقصى ما جال بخاطره هو أن



هذا نتاج اندماجك فى المجتمع الأمريكى ، حيث يهملون تلك الاعتبارات .

غمغم محاولا التخفيف من حساسيتها :

ـ أنت شديدة الحساسية ، لقد أخبرتك من قبل أن الحب لا يعترف بأية فوارق ، سواء أكانت اجتماعية أم مادية ، أو حتى زمنية .. لقد خلق ليحطم كل الحواجز .

شبّكت أصابعها بأصابعه ، وهى تقول :

ـ العوامل الزمنية هى أقواها وأكثرها مناعة .

ضم كفها إلى قلبه ، وهو يقول فى إخلاص :

ـ سيهزمها حبنا يا ( هيام ) .

ـ ها نحن ذا نعود للتحدث كالمحبين ، على الرغم من اتفاقنا .

ـ ولِمَ نواصل خداعنا لأنفسنا يا ( هيام ) .. لقد اعترف كل منا للآخر بحبه منذ البداية ، ولقد آن الأوان لننزع تلك الأقنعة الزائفة ، ونعترف بمشاعرنا .

عجزت هذه المرة عن المقاومة ، فتركت رأسها تسترخى على كتفه ، وهى تقول :

– إنك لا تعلم كم أحبك ، وكم تخيفنى فكرة فراقك لى يوماً .. لقد أصبحت كل حياتى ، وسأعترف بحبى لك ، على الرغم من خـوفى من نفسى ، ومن نظرة المجتمع ، حينما يفاجأ بحب امرأة فى خريف العمر مثلى ، لشاب فى مقتبل العمر مثلك .

قبَّل رأسها ، قائلا :

– اطرحى عنك كل هذه المخاوف يا حبيبتى .. لن تفرِّق بيننا أية قوة فى الأرض .

عادا إلى المنزل ، وقد تفجَّرت كل عواطفهما المشبوبة ، وفى الطريق سألته ( هيام ) :

– أستأتى للترحيب بـ ( وفاء ) بعد غد ؟

– بالطبع .. أستقضى هنا إجازة قصيرة ؟

– بل ستبقى على نحو دائم ، فلقد أنهت دراستها ، وتزوَّجت أمها بآخر ، ولم يعـد هنـاك ما يربطها بالبقاء فى ( دمشق ) .

* * * * * * * ٥٠ * * * * * * *

ثم سألته فجأة فى لهفة :

– أتسعدك عودتها ؟

عاوده الاضطراب ، وهو يتنحنح مغمغماً :

– بالطبع .. إنها صديقة قديمة و ..

قاطعته فى سعادة :

– إننى أحبها جدًّا ، ثم إن فرحة خالى بعـودتها تسعدنى ، فلن يمكنك أن تتصوَّر مدى سعادته بعودتها ..

وعلى الرغم من أن ( عصام ) كان يعيش أجمل أيام حياته وأسعدها ، بعد أن رفعت ( هيام ) كل الحواجز عن حبهما ، ومهدت الطريق إليه بالسعادة والآمال ، إلا أن ورود اسم ( وفاء ) فى حديثهما أورثه قلقاً خفيًّا لم يدر كنهه ، فـ (وفاء) تذكره بعواطفه البريئة الأولى ونبض قلبه الأوَّل ، و .. ولكن .. أليس حبه لـ(هيام) صادقاً ؟ .. بلى إنه كذلك ، ولكن ..

تملكه الاضطراب ، حينما توقفت أفكاره عند تلك الكلمة ..

* * * * * * * ٥١ * * * * * * *

ولكن ماذا ؟

إنه ومنذ البداية يتمنى أن تبادله ( هيام ) حبه ، كما يتمنى أى محب ، إلا أنه لم يفكر أبداً ، على نحو جدى ، فى ظروفها النفسية المعقّدة ، ولم يتعاطف مع تجربتها السابقة الأليمة ، فعلى الرغم من مرارتها ، وهى تتحدّث عنها ، إلا أنه لا يذكر إنصاته لها على نحو جيد فقد كان كل ما يشغله هو أن تبادله الحب ، الذى يشعر به نحوها .. وهذه أنانية ..

ولكن .. ألا يحمل الحب فى طيّاته شيئاً من الأنانية ؟

إن الحب الأفلاطونى ، القائم على التضحية وإنكار الذات وَهْم لا وجود له إلا فى خيال الأدباء والشعراء أما حبه لها فحب إنسانى ، منطق ، يقوم على تبادل المشاعر ..

ولكن أى نوع من المشاعر ؟ ..

مشاعر الحب والهيام فحسب ، أم حتى الآلام والشقاء ؟ ..



فجأة نفض عنه كل تلك الأحاسيس والتساؤلات وألقاها خلف ظهره ، وهو يشعر بمبالغته فى مشاعره .

وافترقا ..

افترقا على موعد باللقاء ..

* * *

## ٦ ـ صراع الحب ..

استقبلته ( هيام ) على باب حديقة ڤيلا خالها ، وهى تقول فى قلق :

ـ لماذا تأخرت ؟ .. إن جدك هنا منذ زمن ، ولقد قال إنك سافرت إلى ( القاهرة ) ، ولقد أقلقتنى عليك كثيراً .

ـ لقد تعطلت سيارتى بعض الوقت .. هل وصلت ( وفاء ) ؟

ـ نعم .. إنها تجلس فى الناحية الأخرى من الحديقة ، مع جدك وخالى ، وبالمناسبة ، ينبغى أن تحرص أشد الحرص على إخفاء مشاعرنا أمامهم ، فلقد بدأ خالى يتساءل عن كثرة خروجنا معاً .. صحيح أنه لا يشك فى وجود عاطفة تجمعنا ، إلا أنه سرعان مايشعر بذلك ، كما أن ( وفاء ) ستدرك هذا بسرعة ؛ بحكم صداقتها لك ، وغريزتها كأنثى .

ـ ولم كل هذه التعقيدات والمخاوف ؟ لم لا نعلن حبنا على الملأ ؟



ـ هل جننت ؟ .. وكيف نواجههم بذلك ؟

ـ كما يواجه أى حبيبين أسرتيهما بحبهما .

ـ لسنا كأى حبيبين .

ـ أستعودين لتلك النغمة مرة أخرى ؟ .. الحب ليس عاراً يا ( هيام ) ، ولا ينبغى أن نخفيه ، ومن الضرورى أن تنتزعى من رأسك تلك الأفكار المعقدة .. إننا سنواجه الاستنكار والاعتراض فى البداية ، وعلينا أن نصمد ، ونواجه كل ذلك ، حتى يرضخوا لحبنا ، ولرغبتنا فى الزواج .

مطت شفتيها ، وهى تقول فى مرارة :

ـ الزواج ؟! .. أتعلم فيما كانا يتحدثان هذا الصباح ؟ .. كانا يقولان إنك خير زوج لـ ( وفاء ) ، وإنها خير زوجة لك .

اضطرب وتلعثم ، وهو يقول :

ـ ربما يرجعان ذلك إلى صداقتى القديمة لها ، ولكنها لا تكنى لذلك بالطبع .

– إنه تفكير طبيعى لهما ، خاصة وأنكما شابان متقاربان فى العمر والطبائع .

ثم تنهدت فى مرارة ، مستطردة :

– وعلى أية حال ، لم يحن الوقت لمصارحتهم بحقيقة عواطفنا بعد .. يكفى أن نحتفظ بها لأنفسنا ، فى هذه المرحلة على الأقل .

– ومتى تنتهى هذه المرحلة فى رأيك ؟

– حينما تواتينى الشجاعة الكافية لمواجتهم بحبنا ، وقبول عرضك للزواج منى .

– كما تشائين ، وإن كنت أفضل أن نعلن حبنا ، فهو أجمل من أن نخفيه .

– اصمت إذن ، فها هم أولاء قادمون نحونا .

أرسل بصره إلى حيث أشارت ، ورأى خالها وهو يقترب بصحبة ( وفاء ) ، وتعلقت عيون ( عصام ) بالفتاة ، وهو يهتف فى أعماقه :

– يا إلهى !! .. لقد تغيرت كثيراً .. صارت فاتنة ، باهرة الحسن ، بأكثر مما كنت أتوقع وأتصور ..



إنها أجمل من صورتها كثيراً .. من كان يتصور أن تصبح ( وفاء ) هكذا ؟.. كلاً .. إنها دوماً جميلة ، بشعرها الكستنائى ، وعينيها الخضراوين .. إنها بالنسبة لى دوماً ملاك رومانسى حالم ، أنستنى عيناه التدقيق فى تكوينه ، ولكن ها هى ذى الآن .. فتاة ناضجة ، مكتملة الأنوثة ، أضفت عليها سنوات النضج حسناً وجمالا وجاذبية .

قاطعته صيحة الخال ، وهو يقول فى مرح :

– ها هوذا ( عصام ) أخيراً .. صديق طفولتك ، الذى تسألين عنه منذ حضورك .

صافحها ( عصام ) فى انبهار ، وهو يملأ عينيه بحمرة الخجل ، التى صبغت وجهها ، وزادته فتنة ، وقال :

– مرحباً بك يا ( وفاء ) .. كم تسعدنى عودتك .

أطلت من عينيها نظرة تجمع بين الشوق والاضطراب ، وهى تقول :

– كيف حالك أنت يا ( عصام ) ؟

شعر بكفها ترتعش فى راحته ، ورأى فى عينيها نفس النظرة الرومانسية الحالمة ، وتنبه فجأة إلى أن ( هيام ) تراقبهما فى توتر وقلق ، فسحب يده من يد ( وفاء ) ، وتلعثم محاولا البحث عن كلمات مناسبة للقاء ، وقد أقلقه ذلك الإحساس المباغت ، الذى ملأ نفسه ، حينما التقى بـ ( وفاء ) ، وتلك النظرة النافذة ، التى حدجته بها ( هيام ) ، محاولة استشفاف ما يدور بنفسه ، حتى أنقذ الخال الموقف ، دون أن يدرى ، وهو يقول :

– ماذا أصابكما ؟ .. إنكما تبدوان جامدين كتمثالين .. أنسيتما كيف كنتما تملآن المنزل صخباً وضجيجاً فى الماضى ؟

ضحكت ( وفاء ) ، قائلة :

– أبى .. إننا لم تعد طفلين .

صمت الخال برهة ، تأملهما خلالها فى اهتمام ، ثم ابتسم مغمغماً :

– هذا صحيح .. لقد صار (عصام) شابًّا وسيماً ،



وصرت أنت فتاة رائعة .. إن مرآكما معاً يكمل سعادتى .

شعر ( عصام ) بغصة فى حلقه ، حينما لمح (هيام)، وقد انزوت بعيداً ، وكأنما لم تجد لها مكاناً وسط فيض العواطف هذا ، فتقدم نحوها ، وأمسك يدها ، وهو يقول فى مرح :

– لسنا وحدنا نكمل سعادتك يا عماه .. أنسيت ابنتك الكبرى ( هيام ) .

أحاط الخال كتف ( هيام ) بذراعه ، وهو يقول :

– وكيف أنساها ؟ .. إنها تملأ عقلى وقلبى دوماً .. هيا بنا نلحق بجدكما ، فهو يجرى بعض التجارب – غير المأمونة – فى حديقة المنزل .

وعلى الرغم من البهجة والمرح ، اللذين أغرقا المكان ، لم تنجح (هيام) أبداً فى محو ذلك القلق ، الذى ملأ نفسها ، لحظة المصافحة ..

مصافحة ( عصام ) و ( وفاء ) ..

* * *

أدرك ( عصام ) ، فى الأيام التالية ، أن ( وفاء ) ما زالت تحتفظ له بمشاعر الحب القديم، وأن السنوات التى باعدت بينهما لم تنتزع منها هذا الحب ، ولقد أسعده هذا فى أعماقه ، بل دفعه إلى مبادلتها بعضاً من مشاعرها ، إلا أن الصراع فى أعماقه صار عنيفاً ، بعد أن احتلت ( هيام ) جانباً من قلبه ، بعد أن طاردها بحبه ، وحاصرها بعواطفه ، حتى استسلمت له ..

وكثيراً ما تساءل : أيمكن لرجل أن يحب اثنتين ، بنفس القوة ؟ ..

كان هذا السؤال يزعجه كثيراً ، فهو يلتزم مع (هيام) بجانب أخلاقى ، يدفعه إلى الإخلاص لها دوماً، وتجنيبها الشعور بالمنافسة مع فتاة أصغر عمراً ، وأكثر جمالا مثل ( وفاء ) ، وفى نفس الوقت كان يعجز عن انتزاع ( وفاء ) من تفكيره ، وعن مقاومة انجذابه الشديد إليها ، ورغبته العارمة فى بعث حبهما من جديد، وكان يحاول إقناع نفسه بأن هذا ليس سوى نوع من



الانجذاب لحنين الماضى ، وأنه لا يحب سوى (هيام) ، على الرغم من محاولات ( وفاء ) المستمرة للتقرب إليه ، وإثارة مشاعره القديمة نحوها ، وهو يعاملها بنوع من التحفظ ، ويظهر لها جانب الصداقة والتقدير ، دون أن يشير بحرف واحد إلى ماضيهما ، يدفعه إلى ذلك أمران ، أولهما : إحساسه بأن حبه المضطرب لها ، ينبغى ألا يتجاوز حدود الذكرى ، وأنه لا يستقيم أبداً مع مشاعره نحو ( هيام ) ، وثانيهما : خوفه من أن تدرك ( هيام ) ، بغريزتها الأنثوية ، حقيقة مشاعره نحو ( وفاء ) ، فتعود إليها عقدها ومخاوفها ..

ولكن هذا كان يضنيه ..

كان الإحباط ، الذى يملأ وجه ( وفاء ) ، كلما استقبل عواطفها ببرود ، يورثه حزناً شديداً ، يحاول القضاء عليه بالمبالغة فى منح عواطفه لـ ( هيام ) ، على نحو يبدو له شديد الافتعال ..

وأيقنت ( وفاء ) ، مع مرور الأيام ، أن حب

( عصام ) القديم لها ، لم يعد له وجود ، وعلى الرغم من كل محاولات التخفى والتظاهر ، لم يكن من الصعب أن تدرك ( وفاء ) ، أن التى احتلت مكانها فى قلب (عصام) هى ابنة عمتها ، التى كانت تعتبرها دوماً الأخت الكبرى الحنون ، فكما يقولون : « الصب تفضحه عيونه » ..

ولقد تساءلت ( وفاء ) دوماً : كيف وقع (عصام) فى حب ( هيام ) ، التى تكبرها بتسعة عشر عاماً ، والتى كانا يعتبرانها بمثابة الأم ، وهما بعد صغيران ؟..

كيف أمكنها أن تنتزع مكانها فى قلبه ؟ ..

ولكن هذا قدرها .. وما دام ( عصام ) يحب ( هيام ) ، فينبغى أن تفسح لهما الطريق ..

وفى البداية كانت ترمقهما بنظرات مستنكرة ، متهمة ، وكانت نظراتها تحاصرهما ، وتسبب لهما الكثير من القلق والاضطراب ، ثم هدأت مشاعرها مع استسلامها اليائس لواقع الأمور ، وتلاشت نظرة الاتهام



من عينيها ، وحاولت أن تروّض نفسها على التعايش مع ( عصام ) بصفة جديدة ، هى صفة صديق الطفولة فحسب ، كما أبقت على صداقتها واحترامها لابنة عمتها ، وإن عجزت عن ترويض نفسها على حبها كما فى الماضى ..

وعلى الرغم من كل محاولاتها ، ظل قلب ( وفاء ) يحمل حزناً ..

حزناً عميقاً ..

* * *

## ٧ ـ سعادة مقيدة ..

اعتاد ( عصام ) أن يتعامل مع ( وفاء ) و ( هيام ) على نحو شبه رسمى ، بعد أن اضطره وجود ( وفاء ) إلى تباعد لقاءاته مع ( هيام ) ، وكانت لقاءاتهما تتم غالباً فى مكان خلوى ، بعيداً عن الأعين ، وفى ذلك اليوم ، ألقت ( هيام ) رأسها على كتفه فى اشتياق ، هاتفة :

ـ كم أوحشتنى يا ( عصام ) .. أسبوع كامل لم نلتق فيه .. كيف طاوعك قلبك على هذا ؟

مسح على شعرها ، مغمغماً فى حنان :

ـ أنت أيضاً أوحشتنى كثيراً .. كنت أقضى بعض الأعمال فى ( القاهرة ) ، وعدت منذ يومين .

ـ يومان !! .. أحرمتنى رؤيتك يومين كاملين ، وأنت هنا .

وتشبثت بذراعه ، وكأنها تخشى أن تفقده ، وهى تستطرد :



ـ لقد كنت متلهفة لرؤيتك .. لِمَ لم تأت إلى منزلنا فور عودتك ؟

ـ لأننى سئمت تمثيل هذا الدور .

ـ أى دور ؟

ـ دور صديق العائلة ، الذى يأتى للتحدث فى مواضيع شتى ، ويضطر لتوزيع ابتساماته ومجاملاته على الجميع .. إلى متى سنخفى عنهم حقيقة حبنا ، ونظل ندخر مشاعرنا وعواطفنا للقاءات سخيفة ، كما لو كنا نرتكب جريمة ؟ .. إننى أتمنى أحياناً أن أتجاهل وعدى لك ، وأصرخ وسطهم أننى أحبك ، وأريد الزواج منك .

أسعدتها عواطفه المشبوبة ، ولكن سعادتها تقيدت بمخاوفها وقلقها ، فغمغمت فى رجاء :

ـ إننى أقدر متاعبك يا حبيبى ، وكل ما أرجوه منك هو مزيد من الصبر .. ينبغى أن نختار الوقت المناسب لنصرح لهم بحبنا ، ونقنعهم به .

ـ ولكن هذا الوقت المناسب لن يأتى أبداً ..

ما الذى يدعـونا إلى الانتظـار ؟ .. ولمـاذا نصرّ على محاصرة أنفسنا بكل القلق والاضطراب ، خشية أن يكشفوا أمرنا ، ما دام ما نخفيه اليوم سنعلنه غداً .

لم تجـد ما تقوله ، وهى تعـترف لنفسها بأنه على حق ، وبأنها تتخذ من ذلك التأجيل حجـة ؛ لمداراة خوفها من إعلان ذلك الحب رسميًّـا ، ومن أن تأتى لحظة يواجهها فيها الآخرون بكل الحجج والمبررات المنطقية ، التى تجعل هذا الحب مستحيلا ، والتى تتهم قبولها الزواج من شاب يصغرها بخمسة عشر عاماً بالأنانية ..

إنها تخشى أن تضعف أمام حججهم واتهاماتهم ، تحت دعوى المثالية وإنكار الذات ، فتتخلى عن حبيبها لأخرى ، أكثر ملاءمة له ، كما يفرض عليها الحب ..

إنها تعلم أنه لن يمكنها القيام بمثل هذه التضحية ، وأنها لن تحتمل فراقه أبداً ، فعلى الرغم من أنهـا قـد حاولت إبعاده عنها فى البداية ، بدعوى التعقل والمنطقية ، إلا أن حبه صار يجرى فى عروقها مجرى الدم ، ومن



المستحيل أن تتخلى عنه ، ولتذهب كل دواعى التعقل والمثاليات إلى الجحيم ..

إنها تفضّل أن يبقى هذا الوضع ، وأن يكتفيا بلقاء بضع ساعات ، يلتهمان فيها الحب والأشواق التهاماً ، على أن يعلنا حبهما ، فيقضيـا عمريهما فى محـاربة الآخرين له ، وفى أنهار القلق والتوتر والصراع ..

أما ( عصام ) ، فقد كان رأيه يختلف ..

كان يصر على إعلان حبهما ، ليس خوفاً من التظاهر وقلق الانتظار كما يدعى ، وإنما حسماً لذلك الصراع الملتهب فى أعماقه ، منذ عودة ( وفاء ) ، وكأنما يحاول أن يثبت لنفسه ، قبل الآخرين ، أنه لن يخون حبه لـ (هيام) ، بسبب عاطفته القديمة نحو ( وفاء ) ، والتى يناضل لمحـاربتها يوماً ، ثم يستسلم لها فى اليوم التالى ..

أراد أن يبرئ نفسه من تهمة خيانة الحب الذى سعى إليه ، وأوقد شعلته ، وجاهد ليلهبه ويشعله ..

ولكن أيكفى إعلان حبه لـ ( هيام ) ، لتنطفئ جذوة ذلك الصراع ؟ ..

هذا هو السؤال ، الذى يخشى معرفة جوابه ..

وقطعت ( هيام ) حبل الأفكار ، وهى تقـول فى استعطاف :

ـ حبيبى .. دعنا لا نضيع الساعات القلائل ، التى نلتقى خلالها ، فى مشاكل وهموم حبنا .. دعنا ننعم فيها بسعادة الحب دون عذابه .

قال فى حنان حقيق ، وهو يمسح على شعرها :

ـ هروبنا المستمر ، من مواجهة هذه المخاوف ، لن يبعدها عنا ، بل سيجعلها تسيطر على حياتنا وحبنا ، وتعصف به يوماً .

أطلت من عينيها نظرة فزعة ، وهى تضع أصابعها على فمه ، لتمنعه من الكلام ، هاتفة :

ـ لا تقل ذلك .. إن حبنا سيبقى .. لن نسمح لأى شىء بأن يعصف به .. أليس كذلك ؟ .. أليس كذلك يا ( عصام ) ؟ .. إننى لن أحتمل الحياة بدونك أبداً .

قبّل رأسها ، محاولا تهدئة مخاوفها ، وهو يقول :



ـ لن أفارقك أبداً يا (هيام) ، فأنا أيضاً لا أتصور الحياة بدونك .

ولكن شيئاً ما فى أعماقه ، كان يهز ثقته فى صدق عبارته .. يهزه فى شدة ..

* * *

دلف ( عصام ) إلى حجرة والد ( وفاء ) ، الذى يرقد فى فراش المرض ، ولم يكد الوالد يراه ، حتى تهللت أساريره ، وهو يهتف به :

ـ تعال يا ( عصام ) .

اقترب ( عصام ) ، وجلس إلى جواره فى توتر واضطراب ، مغمغماً :

ـ حمداً لله على سلامتك يا عماه .. لقد أخبرنى الطبيب أن صحتك فى تحسن .

ـ نحمد الله يا ولدى .. لقد أرهقت جدك معى كثيراً ، على الرغم من عمره الكبير .

ـ إنه يحبك كثيراً يا عماه ، وهو يدعو لك فى كل صلاة بالشفاء .

ـ إننا أسرة واحدة يا ولدى .. أليس كذلك ؟

ـ بالطبع يا عماه .

ـ ما رأيك فى ذلك الطبيب ، الذى يشرف على علاجى ؟

أدهش السؤال (عصام) ، إلا أنه أجاب فى هدوء:

ـ أتقصد الدكتور ( رفيق ) ؟ .. إنه رجل ممتاز ، و ( الفيوم ) كلها تشيد به .

تنهد الأب مغمغماً :

ـ من المؤسف أن هذا الرجل الممتاز سيتركنا ويرحل .

ـ إلى أين ؟

ـ إلى ( الإسكندرية ) ، فسيفتتح قريباً مستشفاه الخاص ، إلى جوار منزل عائلته .

ـ ( الإسكندرية ) ليست بعيدة على أية حال ، وهو سيأتى لزيارتك بالتأكيد .

رمقه الخال بنظرة ثاقبة متفحصة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا هو المؤسف .. ألا تعلم أنه كان



يرغب فى الزواج من ( هيام ) ، وأنه قد عرض عليها رغبته هذه أكثر من مرة ؟

لم يخف على الخال ذلك الاضطراب ، الذى اعترى ( عصام ) لدى سماعه هذه العبارة ، فأردف فى هدوء:

ـ ومن المؤسف أنها رفضت عرضه هذا ، فلقد عودتها على اتخاذ كل قراراتها بنفسها ، ولا يمكننى أن أفرض عليها مثل هذا القرار ، ولكن الدكتور (رفيق) هو الشخص المناسب لها تماماً ، فهو ناجح ، دمث الخلق ، يكبرها بسبعة أعوام فقط ، فضلا عن ثقافته الواسعة ، ومميزاته الأخرى ، ألا تتفق معى فى أنه خير زوج لها ؟

تساقطت حبات العرق على جبين (عصام) ، وهو يغمغم فى تلعثم :

ـ بالتأكيد .. المهم هو أن تحبه هى ، ولو أنها ..

قاطعه الخال فى هدوء :

ـ لقد مرَّت ( هيام ) بتجربة قاسية ، جعلت مشاعرها مضطربة ، وعواطفها غير سوية على الإطلاق ،

مما يحجب عنها الكثير من الحقائق ، ويجعلنى لا أطمئن إلى ما يصدره قلبها من أحكام .

وتطلع إلى ( عصام ) بنظرة ، بدت وكأنها تنفذ إلى أعماقه ، وتسبر غوره ، وهو يستطرد :

— إنك بمثابة الأخ الصغير لها ، ولكنها تكنّ لك الكثير من التقدير والاحترام ، وليتك تناقشها فى هذا الأمر ، وتردها إلى صوابها .

غمغم ( عصام ) وهو ينهض :

— سأحاول يا عماه .

ولكنه شعر أن الحال يفهم كل شىء ، وأنه يحاول تنبيهه إلى خطورة علاقتهما العاطفية ، على نحو مستتر مهذب .. يريد أن يبلغه أنه يعرف كل أسرار حبهما الخفى ، وأنه يحذره من الاستمرار فى خطإ هذا الحب .

ودب الخوف فى أعماق ( عصام ) .. إنه يطالب بمواجهة الجميع بحبه لـ ( هيام ) ، ثم ها هوذا يضطرب ويرتبك ، لمجرد التلميح بذلك من الآخرين .. أين ذهبت تلك القوة ، التى يستشعرها فى أعماقه دوماً ،



وهو يجادل ( هيام ) فى ضرورة التصريح بهذا الحب ، والمجاهرة به ؟ ..

لماذا فقد الثقة فى نفسه ، وفى عاطفته ؛ لمجرد أن خالها ألمح له بوجود رجل آخر ، أكثر مناسبة لها ؟ ..

هل أخطأ حقًّا فى حبه لـ ( هيام ) .. أم أن الخطأ يكمن فيه هو ؟

وقطع عليه الأب خواطره الحائرة ، وهو يسأله :

— إلى أين ؟

— سأتركك لتستريح قليلا .

— (هيـــام) فى الخارج .. خرجت لشراء بعض اللوازم ، ولكن ( وفاء ) فى الحديقة .. أستلتقى بها ؟

— نعم يا عمى .. بالتأكيد .

وتضاعف ارتباكه واضطرابه ، وهو يغلق الباب خلفه ، وأدرك أنه على أعتاب مرحلة جديدة ..

مرحلة مخيفة ..

* * *

## ٨ ـ الحب الحائر ..

تطلع إلى ( وفاء ) ، وهى تطالع أحد الكتب فى الحديقة ، وغمغم فى أعماقه :

ـ ما أجملها !! إنها تملك وجها ملائكيًا ، يمنح الناظر إليها شعوراً رومانسيًا حالماً .

لم يدر لماذا ترتد إليه كل عواطفه الأولى ، كلما تطلع إلى وجهها ، واقترب منها ، ووقف خلف مقعدها مباشرة ، ثم همس فى صوت مفعم باشتياق لا إرادى :

ـ صباح الخير يا ( وفاء ) .

التفتت إليه فى اضطراب واحد ، ثم لم تلبث أن تمالكت نفسها ، وهى تقول :

ـ أهلا يا ( عصام ) .. صباح الخير .

التقط الكتاب الذى تقرؤه ، وقال :

ـ ماذا تقرئين؟

أجابته وهى تسترد كتابها فى رقة :

ـ بعض دواوين الشعر .



ابتسم ، قائلا :

ـ ما زلت كما أنت يا (وفاء) .. رومانسية حالمة ، تعشق الشعر ، وتبكيها أغنية عاطفية .

حاولت تغيير الموضوع ، وهى تغمغم :

ـ لقد خرجت ( هيام ) منذ قليل .

أومأ برأسه ، مجيباً :

ـ أعلم ذلك .. لقد جئت للاطمئنان على صحة والدك ، ووجدته بخير والحمد لله ، ولقد رأيتك تجلسين فى الحديقة ، وأردت أن أجلس معك قليلا .. هل يضايقك ذلك ؟

ـ كلا بالطبع .. تفضّل ..

جلس على المقعد المواجه لها ، وطغى عليهما شعور بالحرج والارتباك ، كأنهما يلتقيان لأول مرة ، وشملهما الصمت لحظات ، حاول خلالها ( عصام ) أن يبحث عن كلمات مناسبة ، حتى لفت انتباهه شىء ما فوق المائدة ، أعاده إلى ماضيه فى قوة ..

تلك القوقعـــة التى أودعاها حبهما وعشقهما فيما مضى ..

واضطربت ( وفاء)، حينما رأته يتطلع إلى القوقعة ، وأسرعت تضع كتابها فوقها ؛ لتحجبها عن ناظريه ، إلا أنه أزاح الكتاب ، قائلا :

ـ أليست هذه قوقعتنا ، التى دفناها عند قاعـدة الشجرة الكبيرة ، منذ عشر سنوات ؟

هتفت ، وكأنها تنفى عن نفسها اتهاماً خطيراً :

ـ كلاَّ .. ليست هى .

حاصرها بنظراته ، وهو يقول :

ـ بل هى .. لا زلت أذكر شكلها حتى الآن .

ـ كل القواقع تتشابه .

كان يحاصرها بنظراته ، وكأنما يحاول التسلل إلى أعماقها ، فأطرقت برأسها فراراً منه ، إلا أنه همس :

ـ وفاء .. لِمَ تحاولين إنكار كل الأشياء الجميلة التى كانت تربط بيننا فى المـاضى ؟



أجابته ، وهى تتطلع إلى العشب الأخضر ، الممتد أمامها :

ـ هناك أشياء تبقى جميلة ، مادامت ملكاً للماضى فقط ، فإذا ما امتدت إليها يد الحاضر أفسدتها ، وأضاعت جمالها .

غمغم فى حيرة :

ـ لست أفهمك .

تنهدت ، قائلة فى مرارة :

ـ ألم أقل لك ؟ .. كان بعضنا يفهم البعض فى المـاضى ، دون أن نفوه بحرف واحد ، أما الآن فلقد أصبحنا مجرد صديقين ، تربطهما علاقة رسمية ، وهذا ما ينبغى أن يكون بيننا الآن .

غمغم ، وهو ينقل بصره بين وجهها والقوقعة :

ـ أيمكن أن يكون هذا كل ما تبقى من حبنا القـــديم ؟

أشاحت بوجههـا ، دون أن تجيب ، وشعر هو بدافع خفى ، يدعوه إلى الاسترسال ، وكأنما أعلن قلبه

العصيان على تلك الصداقة المصطنعة ، واستعاد إحساسه بالفتاة التى شاركته صباه ، فمال نحوها ، وهو يهمس :

— مشاعرى تعجز عن التفرقة بين الفتاة الجميلة ، التى تجلس أمامى الآن ، وتلك الصبية ، التى ربط الحب بين قلبينا فيما مضى ، والتى عاهدتنى على أن يبقى حبنا أبداً ، وأودعنا معاهدتنا تلك القوقعة .. أنسيت نزهاتنا الجميلة عند السواقى ؟ .. أنسيت يوم ألقيت نفسى فى الترعة لأنقذك ، على الرغم من أننى لم أكن أجيد السباحة ؟ .. أنسيت تشابك أصابعنا تحت تكعيبة العنب ، وسعادتنا آنذاك ؟ .. ألم يشهد كل ركن فى هذا المنزل جزءاً من أحلى وأجمل لحظات حياتينا ؟ .. كيف يمكننا أن ننسى كل هذا ، ونتطلع إلى أنفسنا وكأننا ننظر إلى شخصين غريبين ، لا يمتان لنا بأدنى صلة ؟

صمت برهة ، ثم دفع ذقنها بأصابعه ، ليدير وجهها إليه ، وهو يقول فى رجاء :

— أيمكن أن ننسى حبنا يا ( وفاء ) ؟



ترقرقت الدموع فى عينيها ، وهى تتطلع إليه فى حيرة ، مغمغمة :

— ( عصام ) .. ماذا تريد منى ؟

تسللت أصابعه ؛ لتلتقى بأصابعها ، وهو يجيب :

— لا أريدك أن تصبحى قاسية على حبنا إلى هذا الحد .

تحشرج صوتها ، وجاهدت لمنع دموعها من الانهمار ، وهى تقول :

— أأنا التى قسوت عليه ؟

وعلى الرغم من أنه قد أدرك مغزى سؤالها على الفور ، إلا أنه تظاهر بعدم الفهم ، وهو يقول :

— ولكننى لم أتوقف عن حبك لحظة واحدة .

غمغمت ، وكأنها تستخف بعبارته ، وهى تسحب يدها بعيداً :

— أهذا ما قلته لها أيضاً ؟

عاوده اضطرابه وارتباكه ، وهو يغمغم :

— هى ؟ .. مَنْ تقصدين ؟

حدجته بنظرة اتهام صامتة ، ثم نهضت من مقعدها ، قائلة :

ـ معذرة .. إنه موعد دواء أبى ، ولا بد من أن أقدمه له بنفسى .

ظل مسمّراً فى مقعده بعد انصرافها ، وتملكه شعور من يُضْبَط متلبّساً بارتكاب جريمة نكراء ..

إذن فهى تعلم كل شىء .. تعلم حقيقة حبه لـ ( هيام ) ، ولقاءاته بها .. الكل يعرف إذن ، ومن الغباء أن يتصور أنهم يجهلون ، فلا ريب أن عيونهما تفضح حبهما ، وكذلك لقاءاتهما المستمرة ، وأحاديثهما الهامسة ..

ولكن لماذا يشعر بالخجل ؟ ..

إنه هو الذى يحرض ( هيام ) دوماً على كشف السر ، ويعاتبها على مخاوفها من مواجهة الآخرين ، فلماذا أصابه كل ذلك الخجل والارتباك ، حينما أدرك أن ( وفاء ) تعرف السر ؟



ألأنه شعر الآن فقط ، أنه قد أجرم فى حق حبه لـ ( وفاء ) ، بعلاقته بـ ( هيام ) ؟

ألأن ( وفاء ) صارحته بمعرفتها بعلاقته بـ (هيام) ، فى نفس اللحظة التى استسلم فيها لحبها ، فوضعته فى صورة الشخص المنافق المتلون الكاذب ، الذى يتلاعب بكل القلوب ، دون أن يخلص فى حبه لأحد ؟ ..

أزعجه هذا الاحتمال الأخير ، وجعله يتساءل :

أهو كذلك حقّـا ؟!

هز رأسه نفياً فى قوة ، وهو يقول :

ـ كلاَّ .. كلاَّ .. مستحيل .

وعاد ضميره يصرخ .

ـ ولم لا ؟ .. أمن الممكن أن يحب القلب اثنتين فى آن واحد ؟ .. لماذا حاولت إذن أن تبث ( وفاء ) حبك ، مادمت مخلصاً لـ ( هيام ) ؟ .. كيف أمكنك أن تكون مخلصاً معهما معاً ؟..

وضع يده على جبينه ، وردّد فى ألم :

ـ ولكننى لست من ذلك الطراز المخادع ..

لا يمكننى أن أكون بكل هذا السوء ، الذى تظنه بى (وفاء) ، والذى أتصوره فى نفسى الآن ، فأنا أحب كلتيهما فى صدق وإخلاص ، وأشعر أننى لا أقوى على فراق ( هيام )، وأن شيئاً قويًّا يشدنى إلى (وفاء) .

انتفض جسده ، حينما شعر بيد توضع على كتفه ، وسمع من خلفه صوتاً يقول :

– ( عصام ) ! ! .. ماذا بك ؟

التفت إليها فى لهفة ، كطفل تائه وجد أمه ، وهتف :

– ( هيام ) ! .. أين كنت ؟

أجابته فى قلق :

– كنت أبتاع بعض اللوازم .. قل لى: لِمَ تبدو تعساً هكذا ؟

تعلق بيدها ، وكأنما يخشى أن يفقدها ، وراحت هى تتطلع حولها فى ارتباك ، وهو يهتف :

– إننى أحتاج إليك .. فى أشد الحاجة إليك .

غمغمت فى ارتياع :



– حبيبى .. ماذا بك ؟ .. إننى لم أرك أبداً على هذا النحو .

ضغط يدها مغمغماً فى توسل :

– سأنتظرك حيث نلتقى ، بعد ساعة واحدة .. إننى أحتاج إليك .

حاولت أن تشرح له صعوبة مغادرتها المنزل مرة أخرى ، إلا أنه رجاها أن تحاول ، فلم تملك سوى الاستسلام ، مغمغمة :

– حسناً .. سألحق بك هناك .

أدهشها أن قبَّل يدها فى حرارة لم تعتدها ، وانصرف فى سرعة ..

وفى أعماق قلبها تصاعدت صيحة ..

صيحة قلق وخوف ..

* * *

لم يكد يراها قادمة نحوه، حتى اندفع إليها ، وألقى رأسه على كتفها ، غير عابئ برؤية أحد لهما ، وشعر بطمأنينة وهو يريح رأسه على كتفها ، مثلما كان يفعل مع أمه ، التى كان يهرع إليها ، كلما استبد به الخوف أو القلق ..

نعم .. إنها تذكّره بأمه .. بحنانها وعواطفها المتدفقة ، فلا يشعر بالاطمئنان إلا وهو إلى جوارها ..

وأحاطته ( هيام ) بنظراتها ، وهى تقول فى حنان وجزع :

ـ ماذا بك يا ( عصام ) ؟ .. لِمَ كل هذا الحزن والاضطراب فى عينيك ؟

تأملها فى صمت ، وغمغم فى رجاء :

ـ (هيام) .. أرجوك .. يجب أن نتزوج فى أسرع وقت .

نطق الجملة فى لهجة غريق يطلب طوق النجاة ، وشعرت بأنه ينبغى عليها أن تهدئ من روعه ، دون



أن تفكر فى أى اعتبار آخر ، فقالت دون تفكير :

ـ فلنتزوج يا حبيبى .. سأفعل أى شىء تطلبه ، ولكن لاتدعنى أراك هكذا .

قبّل يدها فى حرارة ، وهو يقول :

ـ نعم .. سنتزوج ، ولن يفرق بيننا شىء .. أى شىء .

قبّلت جبهته ، وهى تستشعر قلقاً خفيًّا ، على الرغم من كل الإصرار واللهفة فى صوت ( عصام ) ، وعلى الرغم من أن مطلبه هو أعظم أمنية ترجوها المرأة من رجل تحبه ، إلا أن حاستها أنبأتها بأنه وراء هذه اللهفة ، وهذا الإصرار والرجاء ، أمر تجهله ، ويشعر معه ( عصام ) بما يهدد حبهما ، فارتجفت لهذا الخاطر ، وشعرت أنها لن تسمح لأى شىء بتهديد حبهما ، حتى ولو اضطرت فى سبيل ذلك إلى محاربة نفسها ، والدخول فى مواجهة جديدة مع عقدها ومخاوفها ..

أما ( عصام ) ، فقد وجد فى هذا القرار الحاسم ، والإصرار عليه ، وسيلة للخلاص من التذبذب والحيرة

التى تمزق نفسه بين عاطفتين ، وانتزاعاً لشعوره بالذنب ، كلما خفق قلبه لـ ( وفاء ) ، فى فلك واحد مع خفقاته لـ ( هيام ) ، وإنهاء للصراع تماماً ..

وقالت (هيام)، وهى تحاول النفاذ إلى أعماق نفسه :

ـ هل فكرت جيداً ؟ أمتأكد أنت من أنك تريد ذلك حقًّا ؟

أجابها ، وهو يضغط حروف كلماته :

ـ نعم ، وأيقنت من أننا قد أخطأنا ، حينما جعلنا حبنا ينتظر لحظة تتويجه كل هذا الوقت .

ظل القلق يملأ ملامحها ، ولكنه ضغط على كفها فى حنان وحب ، مغمغماً :

ـ دعينى أشعر بموافقتك من القلب .

ابتسمت ، قائلة :

ـ منذ عرفتك ، وأنا لا أملك سوى الموافقة على طول الخط .. فقط لى مطلب واحد .

ـ ما هو ؟

ـ ألا نخبرهم مسبقاً برغبتنا فى الزواج ؟



ـ أسنعود إلى هذا مرة أخرى ؟

ـ أرجوك يا ( عصام ) .. إننى أطلب منك هذا لينجح زواجنا ، فلست قوية كما تتصور ، وما زلت أخشى أن تضعفنى معارضتهم ، أو نظرات الاتهام فى عيونهم ، لو أعلناهم برغبتنا فى الزواج .. فلنضعهم ولنضع أنفسنا أمام الأمر الواقع .

ـ وكيف يتحقق ذلك ؟

ـ اسبقنى إلى ( القاهرة ) ، وسأعد نفسى للحاق بك بعد أسبوع واحد ، حيث نتزوج ، ونعود إليهم زوجين .

ـ ألن يغضب ذلك خالك ؟

ـ ربما ، ولكن ذلك يهون أمام خوفى من معارضته للزواج ، وسأترك له رسالة قبل سفرى ، أشرح له فيها كل شىء .

ـ ليست هذه هى الصورة ، التى تصورتها لزواجنا ، ، فقد كنت أحلم بعرس تتحدث عنه

( الفيوم ) كلها ، وبثوب زفاف لك ، تحسدك عليه الأخريات .

ـ لست صغيرة تقام لها ليلة عرس ، وترتدى ثوب زفاف ، فأنا مطلقة ، أكبرك بخمسة عشر عاماً ، وما دام حبنا يخالف المنطق والتقاليد ، فليكن زواجنا كذلك .

ربّت على وجنتها ، مغمغماً :

ـ تلك المرأة ، التى تتحدثين عنها ، أجمل فى نظرى من عذارى الدنيا كلها ، وليتك تقنعين بأن الحب لا يعترف بمنطق أو تقاليد .

ضحكت ( هيام ) ، قائلة :

ـ لذلك سأتزوجك .. أليس هذا هو المهم ؟

بدا الارتياح على وجهه ، وهو يقول :

ـ بلى .. كم أتوق إلى يوم تشاركينى فيه حياتى ، كما شاركتنى قلبى !

أسبلت جفنيها ، وشاركته أحلامه ، وهى تغمغم :



ـ أنا أيضاً أتوق لذلك اليوم يا ( عصام ) ، ولم يعد يعنينى سوى تحقيقه .

ـ أحبك يا ( هيام ) ، وأريد حبك وثقتك .

ـ أنا أيضاً أحبك أكثر مما تتصور يا ( عصام ) ، وأثق فيك كما أثق فى نفسى . وقد كنت قبل حبك لا أثق حتى فى نفسى .. أحبك .. أحبك ..

* * *

سافر ( عصام ) إلى ( القاهرة ) ، وانتظر لحاق ( هيام ) به ، ليعقدا قرانهما ، وانتهز فرصة وجوده فى ( القاهرة ) ؛ لينهى بعض الإجراءات الخاصة بالعقارات ، التى آلت إليه من جده ، ولكن انهماكه بتلك الأعمال لم يمنعه من التفكير فى حياته المقبلة مع ( هيام ) ، وشعر بسعادة وارتياح ؛ لحسمه الأمر على هذا النحو ، فمنذ الآن لا ينبغى عليه أن يفكر فى أية مخلوقة أخرى عدا ( هيام ) ، أو أن تزاحم حبها فى قلبه أية عاطفة أخرى ، فـ ( هيام ) هى قدره .. قدره الذى اختاره بنفسه ، اختياراً قائماً على الحب والمشاركة

الوجدانية ، وشعر فى اليومين الأولين ، اللذين قضاهما فى (القاهرة) ، أن حبه لـ ( هيام ) يزداد تأججاً وقوة ، أو ربما أراد إقناع نفسه بذلك ، بعد اتفاقهما على الزواج ، وفى لحظات قليلة ، كان طيف ( وفاء ) يمر أمام عينيه ، فكان يحاول إبعاده ، قائلا لنفسه :

— إنه طيف من الماضى ، وحب أصبح ذكرى ، أما الحاضر والمستقبل ، فهما لـ ( هيام ) .. ( هيام ) وحدها ..

أما ( هيام ) ، فقد بدت فى أحدث حالاتها ، ولقد استردت ثقتها بنفسها ، واستعادت إحساسها بأنوثتها ، وبحقها فى الزهو بنفسها وجمالها ، والسعادة بكونها أنثى محبوبة ، يتمناها شاب لنفسه زوجة ، وتحبه هى أيضاً ، وتستمد سعادتها من سعادته ، وبدت وكأنما نفضت عن نفسها كل المخاوف ، وصارت مستعدة للتحديات.

ولقد أصبحت أكثر اهتماماً بثيابها وزينتها ، وعادت تقف أمام مرآتها بالساعات ، تنتقى الأثواب التى ستحملها معها ، عند سفرها إلى ( عصام ) ، وهى



تتساءل أيها سيروق له ، وقد تناست عمرها تماماً ، وبدت وكأن الحب قد أعادها إلى العشرينات ، وراحت تردد :

— آه يا ( عصام ) .. ليلتان فقط منذ افترقنا ، وأشعر أنك قد أوحشتنى كثيراً .. ما أقسى الساعات وأطولها ، حينما تكون بعيداً عنى .. كم كنت حمقاء ، وأنا أبعدك عنى .. أية حياة تلك ، التى كنت سأحياها دون حبك ؟ بعد أقل من أسبوع سأصبح زوجتك ..

فليغفر لى القدر كل مخاوفى السابقة ..

وفى تلك اللحظة فتح الباب ، ودخلت ( وفاء ) ، والتفتت إليها ( هيام ) ، والتقى الوجهان ، وكان وجه ( هيام ) يشع بالسعادة والجمال ، أما وجه ( وفاء ) ، فكان يحمل إلى جوار جمالها شحوباً ..

شحوب يأس ومرارة ..

* * *

مضت لحظات من الصمت ، ثم بدأت ( وفاء ) ، الحديث فى وهن ومرارة ، قائلة :

ـ معذرة .. لم أكن أعلم أنك هنا .. لقد نسيت أحد كتبى ، وجئت للبحث عنه ، و ..

قاطعتها ( هيام ) :

ـ ولماذا الرسميات يا ( وفاء ) ؟ .. إنه منزلك ، ويمكنك دخول كل غرفه ، دون استئذان .

لم تجبها ( وفاء ) ، بل أخذت تبحث عن كتابها فى هدوء ، وتابعتها ( هيام ) ببصرها بعض الوقت ، ثم شعرت بضرورة التحدث إليها ، فسألتها :

ـ ما رأيك فى ثوبى الجديد ؟

ألقت عليها ( وفاء ) نظرة عابرة ، ثم عادت تشيح بوجهها ، وهى تغمغم :

ـ إنه جميل .

اقتربت منها ( هيام ) ، وهى تقول :



ـ ( وفاء ) .. لم تعامليننى بهذا الفتور ؟ .. أأخطأت فى حقك بشىء ما ؟

حدجتها ( وفاء ) بنظرة اتهام ، شبيهة بتلك التى رآها ( عصام ) فى عينيها من قبل ، وصمتت برهة ، قبل أن تقول :

ـ أيخامرك هذا الشعور ؟

تمتمت ( هيام ) :

لست أظن أننى قد أخطأت فى حقك ، فأنت تعلمين كم أحبك ، وكيف أعتبرك بمثابة أخت صغرى ، أشعر بمسئوليتى عنها .

قالت ( وفاء ) فى صوت يحمل رنة تهكمية مريرة :

ـ أظن أنه قد آن الآوان ، لترفعى عن كاهلك عبء المسئولية ، فلست أحتاج إلى الحب والاهتمام من أى مخلوق .

وأسرعت تتناول كتابها ، وتهم بمغادرة الحجرة ، ولكن ( هيام ) أمسكت بذراعها تستوقفها ، وهى تسألها فى حيرة :

– (وفاء) .. اصدقينى القول .. أما زلت تحتفظين بذلك الحب القديم لـ ( عصام ) ؟

تطلعت ( وفاء ) إلى عينيهـا بمزيج من الدهشة والحزن ، وهى تقول :

– لماذا تطرحين هذا السؤال ؟

هيـــام :

– أود أن أعرف و ..

قاطعتها ( وفاء ) بلجهة جافة :

– اطمئنى .. لقد كان حبًّا صبيانيًّا ، ولم يعد له وجود الآن .

ارتسم الارتياح على وجه ( هيام ) ، ثم لم تلبث كلمة ( اطمئنى ) أن قفزت إلى ذهنها ، فأورثتها القلق ، وجعلتها تتناول يد ( وفاء ) ، قائلة :

– ( وفاء ) .. تعالى نجلس معاً .. أشعر بحاجتى للتحدث إليك .

غمغمت ( وفاء ) فى جفاء :

– إننى مشغولة الآن .



هيـــام :

– لن أعطلك كثيراً ، فقط أشعر بحاجتى إلى أن أبوح لك بسر يتعلق بى ، وبصديقك ( عصام ) .

بدا الاهتمام على وجه ( وفاء ) الشاحب ، وغلبها فضولها ، فجلست قبالتها ، على حين أسبلت ( هيـام ) جفنيها فى سعادة ، وهى تقول :

– آه يا ( وفاء ) ، لو تعلمين كم أشعر بالسعادة .. لقد كان هناك حلم جميل يراودنى منذ زمن ، وها هوذا فى طريقه إلى أن يصبح حقيقة .. حقيقة رائعة ، وما أجمل أن تتحول أحلامنا الجميلة إلى حقائق ، ولكن ينبغى أن يبقى ماسأخبرك به سرًّا بيننا ، إلى أن ينتهى كل شىء وفقاً لتخطيطنا ، فقد كان من المفروض ألا يعلم أحد بما سأخبرك به ، ولكن سعادتى أقوى من أن أكتمها عنك ، كما أننى أثق بك ، وأعلم أنك ستحتفظين بالسر طىّ الكتمان ، حتى نفاجئ به الجميع فلقد اتفقنا أنا و ( عصام ) على الزواج .. سألحق به فى نهاية الأسبوع إلى ( القاهرة ) ، حيث نعقد قراننا

هناك ، ونعود إلى ( الفيوم ) زوجين ، ولقد اتفقنا على ذلك ، حتى لا نجشم أنفسنا مشقة رفض الآخرين ، ومحاولات إقناعهم ، فنحن يحب بعضنا البعض حبًا جمًا ، لا يمكنك تصوره .

لم تلحظ ( هيام ) ، وهى تسترسل فى حديثها ، كل ذلك الألم ، الذى ارتسم فى ملامح ( وفاء ) ، حينما شعرت أن آخر خيوط الأمل تفلت من بين أصابعها ، وأن ( عصام ) قد صار ملكاً خالصاً لـ ( هيام ) ، وأنها قد فقدته إلى الأبد ، وانتابها شعور قوى بالتعاسة ، وظلم الحياة والقدر لها ..

ولولا أن السعادة تلهى المرء عن أحزان الآخرين ، لذهلت ( هيام ) من فرط الحزن والألم والمرارة فى عين ووجه (وفاء) ، التى بدا حديث ( هيام ) كخناجر تغوص فى قلبها ، حتى أنهت تلك الأخيرة حديثها ، قائلة :

ـ ما رأيك فى هذه المفاجأة ؟



ترقرقت الدموع من عينى ( وفاء ) ، وهى تقول فى وهن وخفوت :

ـ ألف مبارك .. أتمنى لكما التوفيق .

واندفعت تغادر الحجرة ، قبل أن تلمح ( هيام ) دموعها ، فجمدت هذه الأخيرة فى مكانها ، وتلاشت فرحتها ، وأدركت لأول مرة وقع المفاجأة على ابنة خالها ، وغمغمت فى ألم :

ـ إذن فالحب القديم لم ينته بعد .. ما أغبانى ! .. كيف لم ألحظ ذلك ؟ .. كيف لم أنتبه إلى ما طرأ عليها فى الآونة الأخيرة .. لقد ذبلت وشحبت ، وكأنها لاحظت كل شىء منذ البداية .. كانت تعرف أن ( عصام ) يحبنى ، وأننى أحبه .. يا للقسوة !! .. لقد تعذبت المسكينة كثيراً ، بعد أن عادت محملة بأحلام حب قديم ، وآمال فى إيقاظ ذكريات الصبا السعيدة ، ولكننا حطمنا أحلامها وآمالها بكل القسوة ، وألهتنا عواطفنا وأنانيتنا عن التفكير ـ ولو لحظة ـ فى هذه

المسكينة ، التى ظلت ترقب تحول مشاعر حبيبها عنها فى صمت وشقاء .

وأفسد عذاب الضمير فرحة ( هيام) ، التى كانت تملأ جوارحها منذ لحظات ، فارتمت على فراشها ، وبكت وهى تضرب وسادتها بقبضتيها ، هاتفة :

ـ لم أكن أريد هـذا .. لم أكن أرغب فى أن يتعذب أى مخلوق بسببى .. لا أريد أن أبنى سعادتى على شقاء الآخرين وآلامهم ، وخاصة أنت يا ( وفاء ) .. إنك وخالى أحب النـاس إلى قلبى بعـد ( عصـام ) .. رحماك ربى ! ! لقد بدأت أولى عذابات حبى .

ولكن أنانية الحب عادت تستيقظ داخلها ، وهى تستطرد :

ـ لا .. لن أسمح لأى شىء بإفسـاد سـعادتى .. لا شىء سيثقل على ضميرى ، فليس ذنبى أنه لم يعـد يحتفظ لها بذلك الحب الصبيانى القديم .. ليس ذنبى أنه قد أحبنى أنا ، واختارنى أنا زوجة له .. إننى لم أحاول أن آخذه منها ؛ لأنه لم يكن لها منذ البداية .. كان لى ..



لى وحدى .. ومهما أحبته ( وفاء ) ، فلن تحبه مثلما أحبه أنا .. إنه يجرى فى عروقى ، ويحيا فى أنفاسى .. إنه من حقى .. من حقى وحدى ، فأنا وهو شىء واحد ، ولن تحبه مخلوقة أخرى مثلما أحببته .

وأسندت رأسها إلى الجدار ، مردفة :

ـ ليتك تقـدرين مشـاعرى يا ( وفاء ) .. إنك ستنسين مع الوقت ، وستجدين فى المستقبل من يعوضك حبك ، فأنت شابة ، والمستقبل أمامك ممتد ، أما أنا ففى خريف العمر ، أضعت عمرى فى أكاذيب وشقاء وحرمان ، وأصبح من حقى أن أنعم ببعض السعادة ، قبل أن تملأ التجاعيد وجهى .. سامحينى يا ( وفاء ) .. أرجوك .. سامحينى .. سامحينى ..

وأجهشت ببكاء حار ..

* * *

## ١١ ـ التضحية الكبرى ..

عادت ( هيام ) من الخارج ، لتجد خالها فى ردهة الڤيلا ، مع شخص آخر ، فاقتربت منهما فى تساؤل ، وقدَّم إليها خالها الشخص الآخر ، قائلا :

ـ الدكتور ( صلاح ) .. صديق وزميل الدكتور ( رفيق ) .. لقد أرسله لفحص حالة ( وفاء ) .

صافحها ( صلاح ) سريعاً ، وهو يقول :

ـ تشرَّفنا يا سيِّدتى .

ثم التفت إلى خالها ، قائلاً فى جدِّية :

ـ كما أخبرتك من قبل .. ابنتك تحتاج إلى عناية فائقة ، ومراقبة دقيقة ، فلديها الرغبة فى التخلص من حياتها .

هتف الأب فى جزع :

ـ أتعنى أنها ستحاول الانتحار ؟

ـ ربما ، وقد لا يتخذ ذلك مظهراً عنيفاً ، فمجرَّد استمرار حالة الحزن ، وإضرابها عن الطعام والشراب قد يؤديان إلى النتيجة نفسها .



ـ ربَّاه !! لن أحتمل إصابتها بأدنى مكروه .

ـ سأبذل أقصى ما بوسعى ، ولكن هل تعلم شيئاً عن سبب تدهور حالتها النفسية ؟.. من الواضح أنها قد تعرضت إلى صدمة شديدة .

حَدَجَ الخال ( هيام ) بنظرة طويلة ، ثم هزَّ رأسه ، قائلا :

ـ الله وحده يعلم يا دكتور .

امتلأت نفس (هيام) بالرعب والفزع ، وتصوَّرت نفسها القاتلة ، المسئولة عما أصاب ( وفاء ) ، على حين قال الطبيب :

ـ ينبغى أن نجلس معاً إذن ، ونناقش كل الاحتمالات ، وقد يستدعى الأمر نقلها إلى مستشفى خاص للأمراض النفسية ، المهم أن نوقف الآن تدهور حالتها ، وسأرسل ممرضة وبعض زجاجات(الجلوكوز).

شعرت ( هيام ) بفداحة جرمها فى حق الفتاة ، ولم تعد قادرة على احتمال عذاب ضميرها ، الذى يصرخ منذ امتنعت ( وفاء ) عن الطعام ، وتدهورت حالتها ،

وهالها ما ألحقته بأحب اثنين إلى قلبها .. خالها و ( وفاء ) فأسرعت تصعد إلى حجرة ( وفاء ) ، ولم تكد تنيرها حتى فوجئت بـ ( وفاء ) تصرخ :

– أطفئى الأنوار .

أطاعت ( هيام ) ، واقتربت من المقعد الذى تجلس عليه ( وفاء ) ، وجثت إلى جواره على ركبيتها ، وأمسكت بمسنده ، مغمغمة :

– ( وفاء ) .. أما زلت ترفضين التحدث معى ؟. لِمَ لا تقولين أى شىء ؟ .. قولى إنك تكرهيننى ، وتحقدين علىّ ، ولكن لا تواصلى صمتك هكذا ، فمازلت ابنة عمتك ، وأختك الكبرى ، وأمك الثانية التى تحبك وتتألم لرؤيتك هكذا .

ظلّت عينا ( وفاء ) جامدتين ، وهى تتطلع أمامها فى شرود حزين ، فأضافت ( هيام ) فى أسف :

– ( وفاء ) .. حينما أحببت ( عصام ) ، لم أكن أعلم أنك مازلت تحبينه ، فقد تصوّرت أن حب صبا كما صار مجرّد صداقة .. ولو علمت ما سمحت لحبه



بالترعرع فى قلبى أبداً .. إننى أشعر بذنب عظيم تجاهك ولكن صدقينى ، لو أن الأمر بيدى الآن لتخليت لك عنه ، اطلبى منى الانتحار ، أو اقتلينى بنفسك ، ولكن لا تطالبينى بالتخلى عنه ، فأنت لا تعلمين كم أحبه ، وكيف يتغلغل حبه فى خلاياى .. ارحمينى يا ( وفاء ) ، وارأفى بحالى ، وتوقفى عن تعذيبى بعذابك ، فلم أعد أقوى على احتمال هذا .

مدّت أناملها لتمس وجنتها ، ولكن ( وفاء ) تراجعت فى حِدّة ، وجسدها يرتجف ، فخفضت ( هيام ) وجهها فى انكسار ، وهى تقول :

– إذن فأنت ترفضين أن تسامحينى .

فجأة أضيئت الحجرة مرة أخرى ، ودخل الخال بعينين يطل منهما اليأس ، وراح يراقب ابنته فى حزن وألم ومرارة ، واتسعت عينا ( هيام ) فى فزع ، وهى تحدّق فى وجه ( وفاء ) ، وقد هالها ما رأته عليه من شحوب وحزن وذبول ، ووجدت نفسها تنحنى على يديها تقبّلهما ، وهى تبكى فى حرارة ، مردّدة :

ـ ( وفاء ) .. ( وفاء ) .

شعرت بدموع الفتاة تسقط على وجهها ، وجسدها يرتجف فى قوة ، ثم فوجئت بها تصرخ فى هستيرية :

ـ دعونى وحدى .. دعونى وحدى .

قال الخال فى ألم :

ـ اهدئى يابنيتى .. سنفعل .. سنتركك وحدك .. فقط اهدئى .

وانحنى يعاون ( هيام ) ، التى صارت أشبه بتمثال فاقد الحياة ، على النهوض ، وغادر الحجرة ، بعد أن أطفأ الأنوار ، فهتفت ( هيام ) فى استعطاف :

ـ خالى .. يجب أن نفعل شيئاً .. يجب أن نفعل شيئاً من أجلها .

تطلع إليها بنظرة لوم وعتاب ، وهو يقول :

ـ أنت وحدك تعلمين ما الذى ينبغى عمله .

تراجعت فى ذعر ، ثم ألصقت رأسها بالحائط ، وهى تقول فى حزن ومرارة :

ـ إذن فأنت أيضاً تطالبنى بالتخلى عن (عصام) .



اقترب منها ، قائلا :

ـ لست أطالبك بشىء ، ولست أحاول أن أفرض عليك شيئاً ، ولكننى مستعد لأن أجثو على ركبتى أمامك ، لترحمى عذاب ابنتى الوحيدة .. لقد عاملتك دوماً كابنة لى ، وأعطيتك نفس الحب والحنان ولم أقصّر فى حقك شيئاً ، ولست أطالبك برد الثمن ، فالآباء لا يطلبون مقابل حنانهم على أبنائهم ، ومازلت أحبك ، وأعتبرك فى منزلة ( وفاء ) تماماً ، ولكننى أتألم ؛ لأننى أعلم علة ( وفاء ) ، وأعرف أنك وحدك يمكنك إنقاذها ، لو تصرفت كأخت كبرى ، تضحى من أجل أختها الصغرى ، وأعلم أنها ليست بالتضحية اليسيرة ، ولن أحدثك عن فارق السن بينك وبين ( عصام ) ، والذى سيجعلك تذبلين ، فى الوقت الذى تزدهر فيه زهرة رجولته وشبابه ، والذى سيحيل حبه لك يوماً إلى نوع من الشفقة .. إنه الواقع الذى تفرين منه يا بنيتى .. إننى لم أقل هذا منذ البداية ، على الرغم من أننى قد لاحظت حبكما منذ منبته .. أتدرين لماذا ؟ .

لأن خبرتى فى الحياة علمتنى أننى مهما قلت ، ومهما شرحت وحذرت ، فلن تستجيبى لى أبداً ؛ لأن الحب دائماً أقوى من كل منطق ، ويرفض كل التحذيرات ، مهما كان صاحبه واثقاً من عواقبه .. ولأننى لم أقو على مواجهتك أيضاً ، ولكن ليس من العدل الآن أن نتجاهل الحقيقة ، وفى أحد أركانها فتاة تتعذب ، وتكاد تلقى حتفها ، بسبب علاقة غير منطقية .

غمغمت ( هيام ) ، وكأنما تتمسك بآخر خيـــوط الدفاع عن حبها :

ـ ولكن ابتعادى لن يحوِّل قلب ( عصام ) إليها ، فهو يحبنى أنا ، وليس ذنبى أن قلبه لم يعد يحبها .

هزَّ رأسه ، قائلا :

ـ أخطأت فى ظنك يا بنيتى ، فـ ( عصام ) لم يتوقف أبداً عن حبه لـ ( وفاء ) ، ولكن ظهورك فى حياته أربك عواطفه ومشاعره ، فأصبح غير قادر على أن يحكِّم قلبه بين عاطفتين .

غمغمت فى تخاذل :



ـ أتعنى أننى لو ابتعدت عنه ، فإنه ..

قاطعها مكملا :

ـ فإن حبهما سيأخذ مساره الطبيعى .

انفجرت باكية ، وألقت نفسها بين ذراعى خالها ، هاتفـــة :

ـ هذا يفوق احتمالى .

مسح بيده على شعرها ، مغمغماً :

ـ أعلم يا بنيتى أنه خيار صعب وقاس ، ولكن تذكرى أن عذاب ضميرك سيكون أكثر صـــعوبة وقسوة ، لو حطمت قلب هذه الفتاة المسكينة .

غمغمت ، وهى تنتحب :

ـ سأفعل كل ما تريده يا خالى .. سأضحى بحبى وسعادتى ، مادام هذا سينقذ ( وفاء ) ، ويحقق لهـا ، ولـ ( عصام ) ما يصبوان إليه من سعادة .

شعر خالها بقلبه يتمزق ، وهو يسألها :

ـ أتعدينني بذلك يا ( هيام ) ؟

دفنت رأسها فى صدره ، وازداد نحيبها ، وهى تجيب :

ـ نعم يا خالى .. أعدك .

عاد يسألها فى قلق :

ـ وكيف ستتصرفين الآن يا بنيتى ؟

مسحت دموعها ، وهى تقول :

ـ ينبغى أن نطلب من ( عصام ) العودة أولا ، من أجل ( وفاء ) .. أما أنا فلا تقلق بشأنى .. فسأدبر أمرى بنفسى .

حاول خالها أن يقول شيئاً ، ولكن شفقته نحوها غمرته ، فعجز عن النطق ، على حين أسرعت هى إلى حجرتها ، وأغلقتها خلفها ، وأطلقت العنان لدموعها ، وهى تبكى حبيب قلبها ..

حبيبه السابق ..

* * *



## ١٢ ـ وداعا يا حبيبى ..

توزعت مشاعر ( عصام ) ، خلال الأيام التى قضاها فى القاهرة ، ما بين اللهفة والملل .. اللهفة فى انتظار مقدم ( هيام ) ، وعقد قرانه عليها ، والملل من شعوره بالوحدة والاغتراب بعيداً عنها ، وأخذ يتعجل الأيام الباقية على لحاقها به ، كما وعدته ، دون أن يعلم شيئاً عن الأحداث الأخيرة ، التى جرت فى غيابه ..

وبينما كان يعبر بهو الفندق ، فى ذلك اليوم ، ناداه موظف الاستقبال ، فذهب إليه يسأله :

ـ هل من جديد ؟

أجابه الرجل فى احترام :

ـ نعم يا أستاذ ( عصام ) ، لقد وصلتك برقية منذ ساعتين .

أدهشه ذلك ، وتملكته الوساوس ، حتى لقد خشى أن يقرأ البرقية فور تسلمها ، وتركها حتى صعد إلى غرفته ، ثم أسرع يفضها ، وقرأ فيها :

— « ( عصام ) .. لن يمكننى الحضور إليك كما وعدتك .. عد سريعاً .. ( وفاء ) مريضة ، وهى فى أشد الحاجة لوجودك .. ( هيام ) » .

أصابه انزعاج شـديد ، وظـل جامداً فى مكانه لحظات ، لا يدرى السبب الحقيقى لمـا أصـابه .. أهـو شعوره بأن القدر يتدخل ليحول بينه وبين الزواج من ( هيام ) ؟ .. أم هو قلقه لمـا جاء بالبرقية من مرض ( وفاء ) ؟! ..

وأخذ يردد لنفسه :

— أيمكن أن تكون حالة ( وفاء ) بهذا السوء ؟ .. أيمكن أن أكون أنا السبب فى ذلك ؟ .. ولم لا ؟ .. إننى أعرف ( وفاء ) جيداً .. أعرفها منذ الطفولة .. إنها رقيقة حساسة ، تتألم لأتفه الأشياء .. إنها مثالية أكثر مما ينبغى ، وهذا النوع من المثالية يصيب صاحبه دوماً بالآلام والعذاب .

وتهالك فوق مقعده ، وهو يردد :

— لن أسـامح نفسى أبداً ، لو أننى السبب ..



فما زلت أحبها .. نعم .. أحبها من كل قلبى ، ولن أرضى لنفسى أبداً أن أكون السبب فى آلامها .. ليتها أدركت حقيقة مشاعرى حينما تحدثت إليها فى الحديقة .. ليتها بدلا من طردى من حياتها وتلك النظرة المعاتبة ، قد فتحت لى قلبها .. عندئذ ربما .. ربما ..

توقف عند تلك الكلمة الأخيرة ، ليسأل نفسه :

— ربما ماذا ؟ .. أكان من الممكن أن يجعلنى هذا أحيد عن مشاعرى تجاه ( هيام ) ؟

وأغمض عينيه مغمغماً :

— لاوقت الآن للحيرة وعقد المقارنات ، يجب أن أعود الآن إلى ( الفيوم ) ، لأكون إلى جوار ( وفاء ) .. لن أتخلى عنها أبداً .. أبداً ..

* * *

استقبلت ( هيام ) الدكتور ( رفيق ) فى ردهـة الفيـلا ، واستدعت خـالها لمقابلته ، وسأله الدكتـور ( رفيق ) فى اهتمام :

— كيف حالها الآن ؟

أجابه الأب ، والحزن يعتصره :

– إن حالتها تزداد سوءاً .

عاد الدكتور ( رفيق ) يستفسر قائلا :

– لِمَ لمْ توافق على اقتراح الدكتور ( صلاح ) بنقلها إلى المصحة فوراً ؟ .. إنه متخصص فى مثل هذه الحالات .

غمغم الأب فى شرود :

– إننا نعلق آمالنا على شخص ما ، ننتظر حضوره ، فقد يكون علاجها على يده .

أدرك الدكتور ( رفيق ) مغزى الكلمات ، فقال :

– أهى تحبه ؟

أومأ الأب برأسه إيجاباً ، فاستطرد الدكتور ( رفيق ) :

– هذا إذن هو سبب مرضها .. أرجو أن يكون ذلك الشخص نبيلا ، حتى لا يتخلى عنها .

ولمح ( هيام ) تهبط فى درجات السلم ، فأردف فى خفوت :



– فأقسى الآلام هى آلام الحب .

ثم نهض يصافح الأب ، قائلا :

– كنت أود أن أبقى معكم وقتاً أطول ، فى ظل هذه الظروف ، ولكن المستشفى والمرضى ..

قاطعه الأب مغمغماً :

– إننى أقدر ذلك ، وأشكر لك اهتمامك ، وإرسالك الدكتور ( صلاح ) .

– لا تقل هذا .. أنت تعلم مقدار صداقتنا .. وعلى أية حال ، سأتصل بكم فور وصولى إلى الإسكندرية ، وأرجو أن أسمع أنباءً طيبة ، وسأحضر فى أقرب وقت للاطمئنان عليها بنفسى ، وسيبقى الدكتور ( صلاح ) إلى جوارها .

– شكراً يا ( رفيق ) .. شكراً لك .

اقتربت منهما ( هيام ) ، وقالت :

– سأوصل الدكتور (رفيق) إلى البوابة الخارجية .

غمغم الدكتور ( رفيق ) :

– لاداعى .. سوف ..

قاطعته هامسة :

ـ أريد التحدث معك .

* * *

قالت ، وهما يجتازان حديقة المنزل :

ـ ترى هل قدرت صراحتى معك يا دكتور ( رفيق ) ، حينما أخبرتك أننى لا أستطيع تلبية رغبتك فى الزواج منى ، على الرغم من احترامى الشديد لك ؟

أومأ براسه إيجاباً ، وهو يقول :

ـ نعم ، فأنا أحترم الصراحة دوماً ، كما أننى من أنصار أن يقوم الزواج بين طرفين على أساس تكافؤ مشاعرهما ، ولم يكن ذنبك أنك لا تحملين نحوى نفس المشاعر التى أحملها أنا لك ، فهذا مما لا يملكه المرء .

وابتسم ، وهو يستطرد فى حزن :

ـ ربما لو لم أكن رجلا عمليًّا ، أنظر إلى الأمور دوماً بواقعية وتفاؤل ، لتحولت إلى مريض يائس ، مثل ابنة خالك .

حملت لهجتها تقديرها ، وهى تقول :



ـ هذا يزيد من تقديرى واحترامى لك ، فأنا معجبة دوماً برجاحة عقلك ، وحسن تقديرك للأمور .

توقف الدكتور ( رفيق ) بغتة ، وتطلع إليها ، قائلا :

ـ ( هيام ) .. لست أظن أنك قد صحبتنى إلى الخارج للإشادة بى فحسب .. أنت تريدين التحدث معى عن أمر آخر .. أليس كذلك ؟

ـ هذا صحيح .. اسمع يا دكتور ( رفيق ) ، سأطلب منك شيئاً ، وأرجو ألا تسألنى السر وراء مطلبى ، سواء رفضته أو قبلته .. فى الوقت الحاضر على الأقل .

تطلع إليها فى حيرة ، مغمغماً :

ـ هيام .. إنك تقلقيننى ، ومع ذلك أعدك بأننى سأوافق على طلبك مسبقاً ، ولن أسألك عن سببه أبداً .

ترددت ( هيام ) لحظة ، ثم قالت :

ـ أريد أن أسافر معك إلى ( الإسكندرية ) ، وأعمل فى مستشفاك .

حدق فى وجهها بدهشة ، وهو يقول :

ـ وأى عمل ستعملينه هناك ؟

ـ أى عمل .. إننى أجيد التمريض بعض الشىء ، كما يمكننى القيام بأى عمل إدارى تطلبه .

زادت دهشته ، وهو يسألها :

ـ ولكن لماذا ؟ .. كيف ستتركين منزلك وخالك ، وابنة خالك ؟

ـ ألم تعدنى بألا تلقى أية أسئلة ؟

ـ أأنت واثقة من أنه قرار صحيح ؟

ـ تمام الثقة ، وأرجو أن تساعدنى على تحقيقه .

ـ حسناً .. لقد وعدتك ، ومادامت هذه رغبتك فسأحققها لك .

ـ أريد منك أن تعدنى بشىء آخر .

ـ ما هـو ؟

ـ ألاّ تخبر أحداً بسفرى أو مكانى .

ـ كيف ذلك ؟ .. أتريدين إخفاء الأمر عنهم ؟



ـ أرجوك يا دكتور ( رفيق ) .. لدىّ أسبابى الخاصة .

ـ ولكن خالك ! .. إن ذلك سيورثه حزناً وهمًّا هو فى غنى عنهما ، فى ظل ظروفه الحالية .

ـ سيقدّر خالى ذلك، بل ربما رحب به ، وعلى كل ، سأترك له رسالة ، أوضح له فيها كل شىء ، دون أن أُطلعه على مكانى، إلى أن يأتى الوقت المناسب .

ـ برغم عدم فهمى للأمر ، إلا أننى أعدك بهذا أيضاً ، وإن كنت أرجو أن تفسرى لى الأمور فيما بعد ، على الأقل لتخفنى من حيرتى ، وإحساسى بالذنب تجاهك ، وتجاه خالك ، إزاء هذا التصرف .

ـ أشكرك يا دكتور .. أشكرك جدًّا .. متى تسافر إلى ( الإسكندرية ) ؟

ـ الليلة ، فى السابعة مساءً .

ـ ستجدنى فى انتظارك بالمحطة ، ومرة أخرى ، أكرر شكرى لك .

وصافحها ( رفيق ) ، وانصرف ، ولكن علامات التساؤل والحيرة لم تفارق وجهه وأعماقه أبداً ..

أبـــداً ..

* * *

هبطت ( هيام ) فى درجات السلم فى بطء ، وهى تحمل حقيبتها ، تمهيداً للرحيل ..

وفجأة رأته يعبر الردهة مهرولا ، ويلتقى بها على السلم ، ووقف كل منهما أمام الآخر جامداً برهة من الوقت ، وتشابكت نظراتهما ، وجاء لقاؤهما على عكس ما توقعاه ، وخططا له ، وتمنت ( هيام ) لو توقف الزمن بعض الشىء ، وطال لقاؤهما الصامت ، حتى ترتوى عينيها برؤيته ، إلا أنه حطم أمنيتها فى قسوة ، وهو يسألها فى لهفة :

— أين هى ؟

أجابته فى خفوت :

— فى حجرتها .. اصعد إليها .

تجاوزها فى لهفة ، وهو يسرع نحو حجرة (وفاء)،



وتابعته هى ببصرها فى ألم ، ثم أطرقت برأسها فى حزن واستسلام ..

ورأى الأب ( عصام ) يندفع إلى حجرة ابنته ، فتهللت أساريره ، واندفع نحوه يصافحه ، هاتفاً فى همس :

— ( عصام ) ؟! .. حمداً لله أنك جئت يا ولدى .. إن ( وفاء ) مريضة للغاية .

صافحه ( عصام ) فى شرود ، واتجه نحو فراش ( وفاء )، فأشار الأب إلى الممرضة أن تتبعه إلى الخارج ، وأغلق الباب خلفه ، وترك ( عصام ) يجلس على طرف الفراش ، وقد مزقه الألم لرؤية ( وفاء ) على هذه الصورة ، فى شبه غيبوبة ، غائرة العينين ، تحيط بجفنيها هالات سوداء ، وقد شحب وجهها فى شدة ، فمال نحوها يهمس :

— ( وفاء ) .. حبيبتى .. لن يرضيك أن تفعلى بى ذلك .. فأنا أحبك .. أحبك أكثر مما كنت أنا نفسى أتصور ، وليس أقسى على المحب من أن يرى حبيبته

تذوى وتحتضر أمامه ، دون أن يجد ما يفعله من أجلها ، والأكثر قسوة أن يشعر أنه سبب آلامها ..

قد لا تصدقين شيئاً من قولى ، ولست ألومك على ذلك ، وقد تظنين أننى مخادع ، لا قلب له ولا ضمير ، لأنه يبث عواطفه لاثنتين ، ويوزع مشاعره على قلبين ، ولكن هذا غير حقيقى ..

لست أنكر أننى قد أحببت ( هيام ) .. جاء وقت شعرت فيه بصدق هذا الحب فى قلبى ، ولكن النفس تجهل أحياناً حقيقة مشاعرها ، تماماً كما كنت أجهل مبلغ حبى لك ..

لقد قابلت ( هيام ) ، وأنا فى أسوإ حالاتى النفسية . كنت أشعر بالمسئولية والوحدة ، بعد وفاة أبوىَّ ، وكنت قد تجاوزت أزمة عاطفية ، مع إحدى الفتيات الأمريكيات ، وكنت أنت بعيدة ، فوجدت فى ( هيام ) الفهم والتقارب ، والأمومة التى حرمت منها ، فاندفعت بكل عواطفى إليها ، ووجدت فى مشاعرها الحارة ، وعواطفها المحرومة ما يعوضنى عما



أفتقده ، وعندما ظهرت أنت فى حياتى مرة أخرى ، أربكت مشاعرى وعواطفى ، ورأيت فيك حبى القديم ، الصادق النقى ، الذى لا تشوبه مشاعر افتقاد ابن لحنان الأم ، ولا تقيده أغلال متاعب نفسية .. ولكن إحساسى بالالتزام تجاه ( هيام ) ، التى أحبتنى بكل صدق وإخلاص ، وتفان ، وعدم قدرتى — لوقت طويل — على تفسير حقيقة مشاعرى نحوها ، وتجاهلك لحبى القديم .. كل هذا حال دون أن نضع الأمور فى نصابها الحقيقى ، ومنعنى من رؤية حبى لك ، والاعتراف به .

غمغمت فى وهن ، وهى مغمضة العينين :

— ( عصام ) .. لا تحاول أن تؤثر فىَّ ، بدافع العطف أو الشفقة ، وتأكد أننى حتى ولو فارقت الدنيا ، فلن أرحل عنها حاقدة عليك أو عليها .

بلَّل الدمع خدَّيه ، وهو يقبِّل يدها ، قائلا :

— صدقينى هذه المرة .. لقد تصورت فى وقت ما أننى أحبكما معاً ، ولكننى خلال الطريق من ( القاهرة ) إلى ( الفيوم ) ، تكشفت لى الحقيقة شيئاً

فشيئاً .. حقيقة أننى أبداً لم أحب سواك ، ولست أحمل مشاعراً لغيرك .

فتحت ( وفاء ) عينيها ، وتطلعت إليه لأول مرة ، منذ مجيئه ، وارتسم على شفتيها شبح ابتسامة ، ورفعت يديها الرقيقتين تتلمس وجهه فى رفق ، فتناولها فى راحتيه ، وقبّلهما فى حب وحنان ، ثم همس :

— ( وفاء ) .. أتقبلين الزواج منى ؟

أومأت برأسها موافقة فى بطء ، وهى تحتفظ بعينيها مفتوحتين ، حتى لا يغيب عنهما ، وانتقلت قبلاته إلى جبينها ووجنتيها ، وشعر أخيراً أنه قد رسا على مرفأ الحب الوحيد فى حياته ، وأن ( وفاء ) قد استولت على قلبه ، لا ينازعها فيه أحد ..

وخلف الباب ، جففت ( هيام ) دموعها ، بعد أن سمعت ورأت نهاية حبها ، وضياع حلمها الجميل ، الذى شعرت دوماً بأنه أجمل من أن يستمر حقيقيًّا ، وبدأت تهبط فى درجات السلم ، وتجر خلفها أحزانها



الثقيلة ، وحبها الجريح ، وغادرت منزل خالها .. إلى الأبد ..

* * *

بعد شهرين من رحيل ( هيام ) ، وقف الأب خلف زجاج نافذة الڤيلا ، يراقب فى ابتهاج ابنته ( وفاء ) ، وقد عادت إلى إشراقها ونضارتها ، وهى تضحك فى سعادة ، مع زوجها وحبيبها ( عصام ) ، فى أثناء جلوسهما معاً فى الحديقة ، ولكن شيئاً ما كان يفسد بهجته ، ويضفى على وجهه ملامح الحزن والألم ، وهو يتذكر تلك الرسالة ، التى تركتها ( هيام ) قبل رحيلها ، والتى حرص على إخفائها عن الجميع ، حسبما أرادت ، ولكنه لا يستطيع كبح دموعه ، كلما تذكر كلماتها ، التى تقول :

— « خالى وأبى العزيز ..

هأنذا أفى بوعدى لك ، وأرحل بعيداً ، كيلا أصبح عقبة أمام قلبين متحابين ، ولكى تعود السعادة لترفرف على هذا البيت ، الذى عشت فيه أجمل سنوات

عمرى .. اطمئن ، فأنا فى خير حال ، وسأبذل قصارى جهدى ؛ لأنتصر على آلامى ، وأداوى جراح نفسى . لا تخبر أحداً بأمر رسالتى ،وسأعمل على لقائك يوماً ،فى الوقت المناسب .. مرة أخرى أريد منك أن تطمئن إلى أننى فى خير حال ، وثق أننى سأحيا ما بقى من عمرى على ذكرى حبكم ، الذى لا يفارق نفسى أبداً .. أنت و ( وفاء ) .. و ( عصام ) ..

ابنتك المخلصة

( هيـام )

وعاد الأب يطوى أحزانه مع الخطاب ، وعاد يتطلع إلى الزوجين ، وقد استغرقتهما السعادة ، وابتسم ..

وابتسمت الدنيا ..

* * *

( تمت بحمد الله )



عاشت حياتها تخشى الارتباط ، بعد تجربتها المريرة ، ثم اقتحم هو حياتها وقلبها ، ودفعها إلى خوض التجربة مرة أخرى ، وعاد بعدها يضعها أمام أصعب اختيار .. إما أن تتمسك بأنانية الحب ، أو تهتف بقلب جريح : وداعاً يا حبيبى .

الزهرة القادمة

( ٢٧ )

( حبى المعذب )

أ. شريف شوقى

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

زهور

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف

ا . شريف شوق

## وداعا يا حبيبى

عاشت حياتها تخشى الارتباط،
بعد تجربتها المريرة ، ثم اقتحم
هو حياتها وقلبها ، ودفعها إلى خوض
التجربة مرة أخرى ، وعاد بعدها يضعها
أمام أصعب اختيار .. إما أن تتمسك
بأنانية الحب ، أو تهتف بقلب
جريح : وداعًا يا حبيبى .

٢٦

الثمن فى مصر
ومايعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم